



روايات مصرية للجيب -

لن أسود

زهور

٢٧



Looloo

www.dvd4arab.com

سريفة شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

٩٠٨٤٤٤ - القاهرة - ت. ٩٠٨٤٤٤

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن
الأنانية والرغبات والشهوات ، هو أعظم شئ خلقه الله فى
هذا الوجود !!

وفى هذا الزمن الذى طغت فيه الأطماع المادية
والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا ..
نحتاج لهذا النوع من الحب .. نحتاج لزهور نستنشق
عبرها ، فتحرك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..
وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننقل
من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر ..
ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب .

المؤلف

١ - الهارب من الحب ..

انعكست نظرة افتتان وانبهار حاملة ، على عيني (ليلي) ،
وهى تتطلع من فوق ربوة عالية خضراء ، إلى بستان وارف من
الزهور ، عند سفح الربوة ، وعيناها تشفان عن إعجابها بكل
ذلك الجمال ، ثم لم تلبث أن أسرعت تهبط منحدر التل الأخضر
إلى البستان ، وثوبها الأبيض الحريرى يتطاير حول جسدها
الرقيق ، فبدت كملاك يهف فى طريقه إلى الفردوس ،
وامتدت يدها تجمع طاقة من الزهور ، وهى تنتقل من مكان
إلى آخر كفراشة راقصة حاملة سعيدة ..

وفجأة ، امتدت يد خشنة قاسية ، تحمل شعلة من اللهب ،
وصرخت (ليلي) عندما أحاطت النيران بالبستان ، وسقطت
الزهور من يدها ، والجحيم يحاصرها من كل جانب ، حتى تحوّل
فرعها إلى صرخة استغاثة رهبة ..

وانشق التل الأخضر عن فارس مشوق القوام ، على صهوة
جواد أبيض ، واندفع الفارس يهب الأرض بجواده نحو البستان
المشتعل ، واقتحم النيران غير عابئ بما يعرض له نفسه

***** ٥ *****

***** ٤ *****

من مخاطر ، وانحنى يحمل (ليلي) بين ذراعيه ، وحملها على
صهوة جواده ، ووثب به فوق النيران ، وكأئما يملك
جناحين ..

وفوق بقعة خضراء جميلة ، توقّف الفارس ، وهبط من فوق
جواده ، وعاون (ليلي) على الهبوط وقد فقدت وعيها ،
وأرقدتها فوق الأرض الخضراء ، وهو يتأملها بنظرات حبّ
وعطف وحنان ، حتى فتحت عينيها ، ورأته ماثلاً أمامها ،
فاتسعت حدقتها ، وهي تهتف باسمه في لهفة :
— (خالد) .. (خالد) .

وعادت تُغلق عينيها مرّة أخرى ، وقد بدت كالنائمة ،
فانتزع الفارس قميصه ، ووضع تحت رأسها ، وتراجع في
حنان ، دون أن يبعد عينيها عنها ، وراح يتأملها في حبّ ، واسمه
يتردّد بين شفثيها في همس ، ثم اعتلى صهوة جواده ، وألقى عليها
نظرة أخيرة بعينين حزينتين ، قبل أن يجذب عنان جواده ،
وينطلق به مبتعداً عن المكان ، وتعالى من خلفه صوت الفتاة
تهتف :

— (خالد) .. (خالد) ..

ولكن الفارس وجواده راحا يتعدان في الأفق ، حتى تلاشيا

* * * * *

فيه ، وتحوّل صوت (ليلي) إلى ما يشبه الأنين ، وهي تردّد
اسمه ..

ثم أطلقت صرخة مدوّية ..
وانفتح باب الحجرة ، واندفعت منه فتاة ، إلى حيث ترقد
(ليلي) منكشّة في فراشها ، وقد ضمّت ساقيها إلى صدرها
بذراعيها ، وألقت رأسها فوق ركبتيها ، وهي تبكي في حرارة ..
وجلست الفتاة إلى جوارها ، واحتضنتها بذراعيها ، قائلة :
— ماذا حدث يا حبيبتى ؟ .. أهو ذلك الحلم مرّة أخرى ؟
قالت (ليلي) وهي تنتحب :

— نعم .. إنه هو يا (سلوى) .. نفس الحلم .
ورفعت إليها عينين مغرورقتين بالدموع ، مستطردة :
— لقد رأيته هذه المرّة أيضاً .. لقد انتشلني من بين النيران ،
على صهوة جواد أبيض ، وحملني إلى بقعة آمنة ، ثم رحل عني
بغته .. أردت أن أستبقيه .. توسّلت إليه أن يبقى ، ولكنه لم
يستجب لندائي .. لقد ابتعد وابتعد ، حتى اختفى مع جواده .

غمغت (سلوى) محاولة تهدئتها :

— (ليلي) .. إنه مجرد حلم .

هزّت (ليلي) رأسها في يأس ، وهي تقول :

* * * * *

— بل هو تعبير عن حقيقة تعسة ، أصبحت أحيا فيها
يا (سلوى) .. حقيقة أن (خالد) قد رحل .. رحل ولن يعود
أبدا .. أعلم أنه ليس من حقى حتى أن أبكى أو أتألم لفراقه ،
فأنا المألومة .. أنا التى أضعته ودفعته إلى الرحيل ، ولكن
(خالد) لم يحمل فى صدره أبدا قلبا قاسيا .. فلماذا يقسو على
إلى هذا الحد ؟ لِمَ لا يغفر لى ؟ .. كيف طاوعه قلبه على
هجرانى ؟ .. آه لو يعلم مدى أسفى وندمى لفراقه ! .. لو يعلم
كم أحتاج إليه ! .. إلى حبه الكبير ، الذى طالما غمرنى به ! ..
لثقة والأمان اللذين كنت أشعر بهما وأنا إلى جواره .. لو يعلم
مدى صدق حبنى ومشاعرى نحوه هذه المرة ! .. ليت أتاح لى
فرصة إثبات صدق حبنى له .

قالت (سلوى) ، وهى تحاول التغلب على انفعالاتها :
— من يدري يا حبيبتى ؟ .. ربما عاد يوما ، فالأمل موجود
دائما .. فقط حاول أن تهدئ الآن ، وأن تعودى إلى النوم ،
هيا .. فأنت مريضة ومتعبة ، وتحتاجين إلى الراحة .
أومأت (ليلي) برأسها إيجابا فى استسلام ، ورقدت فى
فراشها صامتة ، مغلقة العينين ..
ولكن الصورة لم تفارق ذهنها ..

* * * * *

صورة (خالد) ..

انهمك (خالد) فى فحص عينة من التربة ، بواسطة
مجهره ، فى أحد معامل البترول ، بدولة الإمارات العربية ،
عندما فتح باب المعمل ، ودلف منه زميله المهندس (يوسف) ،
وهو يقول :

— أَلَمْ تنته من عملك بعد يا خالد ؟ .. لقد ذهب الجميع
إلى النادى .
خالد :

— لقد شارفت على الانتهاء .
يوسف :

— هل تبشر تلك العينة بخير ؟
ابتسم (خالد) ، قائلا :

— جدًّا .. إن نسبة الخام فيها مرتفعة للغاية ، ولست أبالغ
لو قلت إنها تتعدى التسعين فى المائة .
يوسف :

— إنها نسبة رائعة .. حسنا .. أنصت إلى أخبارى الهامة
أولا .. لقد وصلنى اليوم خطاب من (سميحة) .

* * * * *

نهض (خالد) من مقعده ، وخلع معطفه الأبيض ، وهو

يقول :

— رائع .. كنت تشكو من تأخر خطاباتنا .

يوسف :

— إنها تتعجل عودتي ، على الرغم من أنها تعلم جيدًا أن

الإجازة السنوية ستأتي بعد ثلاثة أشهر كاملة .

علق (خالد) معطف العمل فوق المشجب ، قائلاً :

— يبدو أنها تحبك كثيرًا .

قال (يوسف) مزهواً :

— أكثر مما تتصور .. لو أطلعتك على خطاباتنا الأخير

فستدرك مدى حبها لي .

ابتسم (خالد) ، قائلاً في استخفاف :

— الحب ليس عبارات منمقة على الورق يا صديقي ، فهو

أكبر من ذلك كثيرًا .

هتف (يوسف) :

— ماذا تغني ؟

ربت (خالد) على كتفه ، قائلاً :

— أنت واثق من حب (سميحة) لك ؟

* * * * *

يوسف :

— تمام الثقة .

خالد :

— حسناً .. أرجو أن تكون ثقتك في محلها .. هيّا نذهب

إلى النادي .

استوقفه (يوسف) ، قائلاً :

— مهلاً يا (خالد) .. ألا تلاحظ أنك غريب الأطوار

بعض الشيء ؟

ضحك (خالد) ، قائلاً :

— ماذا تغني بغريب الأطوار هذه ؟

يوسف :

— إنك تميل دوماً إلى الوحدة والصمت ، وإذا

ما تجاوزتهما ، فإنك تتحدث بعبارات غامضة ، وأنا تقريباً

صديقك الوحيد هنا .

خالد :

— وما الغريب في أن يميل الفرد إلى الهدوء والعزلة ؟ .. إنني

لست منطوياً كما تحاول تصويري ، ثم إنك الصديق الوحيد لي ،

لأنني أثق بك ، وأثق في أنك مخلص أمين .

* * * * *

يوسف :

— لو أنك تثق في حقًا ، وفي إخلاصى ، لكشفت لى عن السر الذى يخفى وراءك ، فمئذ حضورك إلى هنا ، لم تغادر المكان أبدًا ، ولا تصلك أية رسائل من أية جهة أو أى شخص ، ولم أرك أبدًا أُرسل ولو رسالة واحدة مثل الجميع ، ثم إنك ترفض الإجازات الرسمية ، وتفضل البقاء فى موقع العمل ، وكأنك تحاول الانعزال عن العالم أجمع .. صحيح أننا جميعًا هنا من أجل العمل ، ومن أجل تحسين أوضاعنا المادية ، ولكنك وحدك تبدو وكأنك قد لجأت إلى هذا المكان الثانى ؛ لتختفى من شىء ما يطاردك .. وهذا ما أشعر به .

تطلع إليه (خالد) فى غضب ، وانفعل قائلاً :

— حسنًا .. هل جعلت من نفسك محلاً نفسياً لكشف عُقدى وأسرارى .. لقد أخبرتك أكثر من مرة أنه لا شأن لك بحياتى الشخصية ، ولو أنك تظن أن صداقتك لى ستمحك هذا الحق ، فأنا أتنازل عن هذه الصداقة .

وغادر المعمل كالعاصفة ، وأغلق الباب خلفه فى قوة ، تاركًا صديقه من خلفه فى خيرة ..

وانطلق إلى حجراته ، وألقى جسده على الفراش ، وهو يحذق فى سقف الحجرة فى شرود ..

* * * * * ١٢ * * * * *

لماذا يسعى (يوسف) وغيره لنش أسرار حياته ١٢ ..

لماذا لا يتركونه لينسى ١٢

لينسى آلام وأحزان ماضيه ..

نعم .. إنه يعترف .. لقد جاء إلى ذلك المكان حاملاً مشاعره الجريحة ، آملاً فى نسيان ذكرى حبه الفاشل .. حبه لـ (ليلي) ..

ذلك الحب الذى لم يجلب له سوى التعاسة والشقاء .. الآن فقط بدأ يتأقلم مع وضعه الجديد ، ويتعايش مع النسيان ..

أفاق من شروده على صوت دقات على باب حجراته ، فهتف فى ضيق :

— ادخل ..

فُتح الباب فى ببطء ، ودخل منه (يوسف) ، الذى وقف متردداً بضع لحظات ، قبل أن يقول :

— لقد أتيت لأعتذر .. أعلم أنه لم يكن من حقى أن أحاول التدخل فى حياتك الخاصة ، وأنه كان ينبغى أن أحترم رغبتك فى إخفائها ، ولكننى رأيت أنه بحكم الصداقة .. أغنى أنه .. أقصد .. حسنًا .. إننى أكرر اعتذارى على أية حال .

* * * * * ١٣ * * * * *

نهض (خالد) من فراشه ، وأحاط كتف صديقه بساعده ،
وهو يقول :

— أنا الذى يجب أن يعتذر ، فلقد كنت فقط أعيداً معك ..
إننى أقدر أن دافع محاولتك كشف أسرارى هو حبك
وصداقتك ، ولكن صدقتى يا (يوسف) .. ليس هناك
ما يدعوك إلى القلق بشأنى ، فأنا سعيد بحياتى هنا ، وبوجودى
فى هذا المكان النائى ، سعيد بعملى فى معمل البترول ، وليس
هناك ما يمكن أن يجلب لى السعادة هنا سوى عملى .. ألا يكفىك
أن تعلم هذا ، لتركنى أنعم بسعادتى ؟ .. ألا يكفىك أن تعلم
أن أية محاولة للتقريب فى حياتى الخاصة ، والبحث فيها عن روابط
وعلاقات ، يثير بداخلى بعض المشاعر المؤلمة ، التى أبذل أقصى
جهدى لتجنبها ؟ .. ألا يكفىك هذا ؛ تمتنع عن خوض تلك
الأمر مرة أخرى ؟

ابتسم (يوسف) ، مغمغماً :

— إنه يكفى ، فالمهم هو أن تظل سعيداً .. والآن .. هل
تصحبني إلى النادي ؟ لقد أحضروا بعض شرائط الأفلام
الأجنبية والعربية الحديثة ؟

خالد :

***** ١٤ *****

— كنت أود ذلك ، ولكن يبدو أننى قد أرهقت نفسى
كثيراً اليوم ، وأحتاج إلى بعض الراحة والنوم
يوسف :

— كما يحلو لك ، ولكن لا تنس الاستيقاظ مبكراً . لتصحنا
إلى موضع الحفر كطلبك .. نوماً هيناً .

غادر (يوسف) الحجرة ، وبقي (خالد) وحده يفكر .
— أهذه هى السعادة ، التى يريخوها حقاً ؟ .. أهو سعيد
بحياته ، أم أنه يفر من أحزانه فحسب ؟ .. تلك الأحرار التى
ظن أنه قادر على دفن سعادته فى الرمال معها ..
وعاد يستلقى فى فراشه محاولاً اصطياد النوم ، الذى فر من
عينيه تماماً ، وذكرياته تسبح به إلى الماضى ..

— إلى قِيلاً جدته ، حيث كان يذهب فى الماضى ، وهو بعد
صبى فى الثانية عشرة من عمره ، خلال العطلات الصيفية ..
هناك التقى بـ (ليلي) ، الإنسانية الوحيدة التى أحبها فى هذا
العالم ، منذ عرف قلبه معنى كلمة حُب ..
الإنسان التى دفعته إلى هذا السجن ..

***** ١٥ *****

فِيلاً الْجَدَّةُ (نازك هانم) في الإسماعيلية ، هي آخر ما تبقى من مظاهر الأرستقراطية لهذه السيِّدة الطَّيِّبة ، التي تنتسب إلى أسرة كبيرة ثرية ، ذات عراقية ، وإلى زوج من كبار مفتشى الرى بالأقاليم ..

و (نازك هانم) هذه هي جدة (خالد) ، الذي فقد جده ووالده منذ طفولته ، وكانت أسعد أوقاته هي تلك التي يقضيها في فيلاً جدَّته بـ (الإسماعيلية) ، في الإجازات الدراسية الصيفية ، يهرح وينطلق حرًّا ، وينعم بحنان وتدليل جدَّته ، التي تُكِنُّ له اعتزازًا خاصًّا ، وحُبًّا وحنانًا جارفين ، ربَّما لأنه نشأ يتيماً ..

ولم يكن التدليل والحنان وحدهما ما يجذبان (خالد) ، في تلك الفترة ، وإنما أيضًا لقاءه العائلي بعمه الدكتور (خيرى) ، وابن عمه الآخر (محسن) ، الذي يماثله في العمر ، بل الأكثر أهمية هو لقاءه بـ (ليلي) ، التي تقطن المنزل المجاور لفيلاً جدَّته ، والتي تفتح قلبه على حبِّها ..

وكانت (ليلي) تقيم في فيلاً والدها الدكتور (فؤاد) ،

***** ١٦ *****

وكان هذا الأخير وزوجته صورتين للتُّبَل والطَّيِّبة والإنسانية ، على نحو يعجز معه ألا يمنحهما الناس كل حبِّ واحترام وتقدير ، فلقد وهب الدكتور (فؤاد) نفسه لمهنة الطب بكل إنسانيتها ، دون أن يخدعه بريق المادة ، وتجذبه العيادات الخاصة ، ولطالما رآه (خالد) يهرول في ساعات متأخرة من الليل ؛ لعلاج مريض فقير بسيط ، وكأنه يذهب لأداء واجب مقدَّس ..

وعلى الرغم من أن جدَّته كانت من ذلك النوع ، الذي يصعب عليه إقامة علاقات قوية مع الآخرين ، إلا أنها كانت تعتبر الدكتور (فؤاد) وزوجته كابنين لها ، وتعتبر (ليلي) حفيدتها ، ولقد نشأت علاقة قويَّة بين عمه الدكتور (خيرى) والدكتور (فؤاد) ، وأصبح يقضى معه جل وقته ، كلما قدم إلى (الإسماعيلية) ، وبحكم هذه العلاقة الوطيدة ، توطدت الصلة بين أبناء العم (خالد) و (محسن) ، وبين (ليلي) ، فراحت هذه الأخيرة بدورها تتطَّلع إلى العطلات المدرسيَّة ، في انتظار حضورهما ، وقضاء الأوقات المرحية السعيدة لها ، بصحبتهما ، وكذلك كان (خالد) يتعجَّل الأيام ليلتقى بها ، وإن تعدَّت لهفته رغبة المرح واللَّهو إلى عاطفة حائرة ، عجز صباه عن تبيُّنها ، إلى أن أنباه شبابه فيما بعد أنها عاطفة متقدِّمة ، يطلقون عليها اسمًا يجمع كل أحاسيسها ..

***** ١٧ *****

كان كل ما يبغيه هو أن يبقى إلى جوارها ، وأن يرى شعرها
الذهبي المتطاير مع هبات النسيم ، وابتسامتها الخلابية تتراقص
فوق شفتيها ..

وكانت متعته هي دُعاباتها الشقية ، وهي تُلقي حَبَّات
العنب فوق رأسه ، أو تخفي حذاءه ، وتجعله يقلب قلباً جَدته
كلها بخثا عنه ..

ولكنه لم يكن وحده هدف دُعاباتها ، فلقد كان النصيب
الأكبر منها لابن عمه (محسن) ، الذي كان أكثر قدرة على
التجاوب مع مزاحها ، وأكثر مقدرة على جذب الانتباه ، بما
توافر له من طبيعة مرحة وحيوية ، وانطلاقة في الحديث ، في
حين كان هو خجولاً قليل الحديث ، وإن ماجت أعماقه بخضم
من مشاعر حيّة ، يعجز لسانه دوماً عن التعبير عنها ..

وعندما بلغ مرحلة الشباب ، وأمكنه أن يشرح انفعالاته
ومشاعره ، كان الوقت قد مضى .. إنه يذكر ذلك اليوم ،
عندما انفرد بـ (ليلي) ، في منزل جدته ، وهو يستذكر ويشرح
لها بعض دروس اللغة الإنجليزية ، ثم توقّف عن الحديث ،

واختلس النظر إلى والدها ، الذي ينهى أحد أدوار الشطرنج مع
عمه ، بعد أن استدعاه أحد المرضى ، وأسرع يغادر القيثا تاركاً
ابنته ، وصعد العم إلى حجراته لبعض الراحة ، وكانت الجدّة
قد استسلمت للنوم منذ ما يقرب من الساعة ، ووجدتها
(خالد) فرصة مناسبة ، موالية للتعبير عن عواطفه ومكنونات
قلبه ..

ولم يكن ذلك سهلاً أبداً ..

لقد تردّد طويلاً ، وتشتّت ذهنه كثيراً ، ولاحظت (ليلي)
اضطرابه ، فحدّقت فيه ، قائلة :

— (خالد) .. أهناك شيء ؟!

أغلق الكتاب ، وهو يقول :

— نعم .. (ليلي) .. أريد أن .. أن

ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة ، لم تلبث أن اتسعت ،
وتحوّلت إلى ضحكة كبيرة ، زادت من اضطرابه ، فسألها
متوتّراً :

— لم تضحكين ؟

سيطرت على ضحكتها ، وهي تقول في قليل من الجدّة :

— معذرة ، ولكنك ذكّرتني بما كنت عليه في العام

الماضى ، عندما رُحِت ترْدُد نفس الكلمات المتلغمة لنصف ساعة كاملة ، لتخبرنى فى النهاية بأنك ترغب فى استعارة إحدى رواياتى .

خالد :

— ربما فعلت ذلك ؛ لأن الرواية لم تكن مطلبى الحقيقى .
سألته فى خيرة :

— ما الذى كنت تريدہ إذن ؟

أجابها مرتبكًا :

— نفس ما أريده الآن ، وأعجز عن التعبير عنه .

أطلقت ضحكة سريعة ، ابتلعها فى سرعة أكبر ، وهى

تقول :

— أتعلم أنك تبدو لى أحيانًا شديد الغرابة ؟ فعلى الرغم

من الصداقة القوية ، التى تربطنا منذ طفولتنا ، وساعات اللهو

والمرح ، التى عشناها معًا ، إلا أنك تبدو أحيانًا كما لو أننا نلتقى

لأول مرة ، فبدو متحفّظًا للغاية ، أو مرتبكًا بلا مبرر .. لقد

رَوْتُ لى جدّتك الكثير عن طبيعتك الحسّاسة المرفهة ، ولكننى

أعتقد أن صداقتنا الطويلة لا تستحق تلك الحساسية المفرطة .

قال فى سرعة :

* * * * *

— حسنًا .. هل يمكننى أن أخبرك إذن ؟

قاطعہ صوت الباب وهو يُفتح ، وصوت شاب يهتف فى

مرح :

— هأنذا .

تلاشى اهتمام (ليل) بـ (خالد) على الفور ، وارتسمت

على وجهها فرحة حقيقية ، وهى تهتف :

— (محسن) !

واندفعت إلى حيث يقف هذا الأخير ، وصافحته فى

حرارة ، وهى تعاتبه قائلة :

— لماذا لم تأتِ مع بداية الإجازة كما وعدت ؟

محسن :

— أَلَمْ يخبرك (خالد) وأبى أننى ذهبت برفقة بعض

الأصدقاء إلى (الإسكندرية) ؟

ليل :

— هل أصبحت (الإسكندرية) تُروق لك أكثر من

(الإسماعيلية) ؟

محسن :

— أنت تعلمين جيّدًا أنه ما من مكان فى العالم كله ، أحبُّ

* * * * *

إلى نفسى من هذا المكان .. يكفى أننى ألتقى فيه بأمرى
(ليلي) .

ضحكت قائلة :

— يالك من مُدَّع منافق !

هتف مستنكراً :

— أنا مُدَّع ومنافق !؟

ليلي :

— نعم .. ولكنك خفيف الظل .

محسن :

— هذه شهادة أعتزُّ بها يا أمرى .

هتفت (ليلي) مستكراً ، وهى تنظر إلى (خالد) ، الذى

وقف إلى جوار مقعده ، مستعداً لمصافحة ابن عمه :

— أنسيت أن تصافح (خالد) ؟

تقدَّم (محسن) نحو (خالد) ، وهو يقول :

— آسف يا (خالد) ، ولكنك تعرف القواعد ، لابد من

الانحناء للأميرة أولاً .

صافحه (خالد) ، وقد ملأ الضيق قلبه ..

هذا هو الفارق بينه وبين (محسن) ..

(محسن) منطلق فى حديثه ، لا يميل من مداعبة (ليلي)

بكلمات الغزل المرحية ، وهى لا تبدى اعتراضاً على

***** ٢٢ *****

ذلك ، بل يبدو أنها تسعد بسماعها ، وتدفع (محسن) دوماً
لقول المزيد منها ..

لقد تصوّر أن انفراده بـ (ليلي) سيتيح له قول كل ما يملأ

قلبه لها ، ولكن (محسن) جاء ليفسد كل شيء .

ولكن .. أيمكن أن يكون فى قلب (محسن) أيضاً الكثير

لـ (ليلي) ؟ ..

أيمكن أن تكون عبارات الغزل هذه حقيقية ؟ ..!

إنه يعرف (محسن) جيّداً ، فهو بالفعل شخصية مريحة

ظريفة جذابة ، ولقد رآه فى الجامعة يغازل ويداعب عشرات

الفتيات بالأسلوب نفسه ، دون أن يعنى هذا فى نفسه شيئاً ،

فهل هذا هو الحال نفسه مع (ليلي) ، أم أنه يخصّها بعاطفة

أخرى ؟ ..

ولماذا قطع إجازته فى (الإسكندرية) ، وهُرع إليها ؟ ..

ألم يقوَ على فراقها ؟ ..!

وما معنى كل اللهفة على وجه (ليلي) ؟ ..

لقد احتفظ هو نفسه فى دخيلته بحبِّ (ليلي) طويلاً ، دون

أن يفصح عنه حتى لها ، أفمن الممكن أنها و (محسن) يحملان

لبعضهما البعض هذا الشعور ؟ ..

***** ٢٣ *****

***** ٢٤ *****

إن (ليلي) لم تستقبله هو بكل هذه اللهفة والسعادة ، اللتين
رآهما على وجهها ، عندما وصل (محسن) ، كما أنه يتذكر ذلك
المزيج من الحزن والضيق في ملامحها ، عندما أخبرها أن
(محسن) لن يأتي إلى (الإسماعيلية) ..

أيقظه صوت (محسن) ، وهو يقول :

— مالك تبدو شاردًا هكذا يا (خالد) ؟

خالد :

— لا شيء .. لا شيء ..

محسن :

— مظهرك لا يوحي بأنك ترحب بقدومي .

خالد :

— كيف تقول هذا ؟ .. إن وجودك هو ما ينقصنا ، منذ
بدأت الإجازة .

تطلع (محسن) إلى (ليلي) بنظرة ذات مغزى ، وهو
يقول :

— أنا أيضًا لم أفكر على الابتعاد عنكما ، ولم يكن لإجازتي
طعم بدونكما ، وأعتقد أنني سأحمل هذا الشعور دومًا ، حتى
ولو قضيت إجازتي في (باريس) ..

* * * * *

تخرج وجه (ليلي) بخمرة الحجل ، وأطرفت أرضًا ، وقد
أدركت المعنى الواضح في عبارة (محسن) ، وأن عبارته ، على
الرغم من أنها تحمل صيغة الجمع ، كانت تقصدها وحدها ،
وقالت محاولة الفرار من شعورها بالخرج :

— لقد تأخر الوقت .. سأترككما الآن ، ولنلتق في
الصباح .

غمغم (خالد) ، وهو يشعر بالكثير من الغيرة والضيق :

— سأوصلك إلى منزلك .

غمغمت :

— لا داعي .. القليلًا تبعد بضعة أمتار .

أسرع (محسن) يمسك مرفقها ، قائلاً :

— ولكن من الضروري أن يوصلك أحدهنا ، وبالذات في
هذا الوقت المتأخر .

قال (خالد) معترضًا في ضيق :

— لقد وصلت من السفر على التو ، ولا ريب أنك متعب .

ابتسم (محسن) ، وقال وهو يرمق (ليلي) بنظرة خاصة :

— ومن يشعر بالتعب ، في رفقة أميرة فاتنة ؟

ضحكت (ليلي) ، وهي تقول على نحو مسرحي :

* * * * *

وقفت (ليلي) تجمع بعض الزهور من حديقة منزلها ، في الصباح التالي ، وسمعت صوتاً يهتف :
— ليلي .

التفتت إلى مصدر الصوت ، ورأت (خالد) يدفع بوابة القيثارة المعدنية ، ويدلف إلى الحديقة ، فقالت في مرح :
— ما كل هذا النشاط ؟ .. لم أتصور أنك ستستيقظ مبكراً هكذا !

— إنني أستيقظ دوماً مبكراً .
— لم لا تأتى إلى حديقتنا يوماً إذن ؟ أنت تعلم أنني أستيقظ مبكراً .
— لم أشأ إزعاجك .

— إزعاجي ؟! .. هل ستعود إلى تلك الرسميات ؟
ومدّت له يدها بزهرة بنفسج ، مستطردة :
— لا ريب أن ابن عمك الكسول ما يزال نائماً .
التقط الزهرة ، وهو يتطلع إليها في صمت ، فسأله في خيرة :

* * * * * ٢٧ * * * * *

— لا بأس ، مادمت تصرّ أيها الفارس .

اصطحبها (محسن) ، وهو يهتف بـ (خالد) :
— أعدّ (الدومينو) وانتظرنى ، فلن أنام مبكراً الليلة .
راقبهما (خالد) وهما يغادران المنزل ، وأنفاسه تثقل عليه ، فكثيراً ما شعر بأن (محسن) صديق مزعج ، خاصة عندما يزاحمه في الاهتمام بـ (ليلي) ، أما الليلة فقد أدرك أن (محسن) قد صار منافساً له ..

هذا لو أن له مكاناً في قلب (ليلي) ..
وليعترف أنها تهتم بـ (محسن) ، وليس به ..
ولكن هل يخبرها بحقيقة مشاعره ؟ ..
أيقول غداً ما قاطعه (محسن) الليلة ؟ ..
أم ينتظر حتى يتبين حقيقة مشاعرها نحوه ؟
وراح قلبه ينبض في ألم ومرارة ..
واختلطت نبضاته بدقات الساعة ..
وبالحيرة ..

* * *

* * * * * ٢٦ * * * * *

— أهنأك ما يشغل فكرك ؟

غمغم مرتبكًا :

— (ليلي) .. أيمكن أن نسير معًا بعض الوقت ؟

ازدادت خَيْرَها ، وهى تقول :

— الآن ؟ .. ولكن الوقت مبكر جدًا ، لِمَ لا تنتظر حتى

نلتقى جميعًا على الشاطئ ، فى موعدنا المعتاد ؟

— لأننى أريد أن أتحدث إليك الآن .. وحدنا .

— هل الأمر بهذه الأهمية ؟

— نعم .

— حسنًا .. سأخبر والدي وأصحبك ، فهناك أمر

يخصنى ، أريد أن أتحدث فيه معك ، وأظن هذا الوقت يناسبه

أيضًا .

راقبها وهى تدلف إلى القِيَلَا ، وتساءل :

— ما الذى ترغب فى التحدث إليه فيه ؟ .. هل تحمل له

بعض المشاعر ؟

إنه يريد حسم الأمر اليوم ، على كل الأحوال ، حتى يعرف

حقيقة مشاعرها نحوه ، وينقذ قلبه من الخيرة والعذاب ..

وعندما عادت إليه ، وسارت إلى جواره على الشاطئ ،

قالت :

* * * * * ٢٨ * * * * *

— حسنًا .. ما الذى تريد قوله لى ؟

غمغم مترددًا :

— أخبرينى أنت أولًا ما لديك .

صمت لحظات ، ثم قالت فى حُفوت :

— إنه أمر يتعلق بـ (محسن) .

توقّف عن السير ، وحدّق فى وجهها مغمغمًا :

— (محسن) ؟ !

قالت فى خجل :

— نعم .. (محسن) .. لقد صارحنى أمس .

هتف :

— صارحك بماذا ؟

ازداد تورّد وجهها خجلًا ، وهى تحيب :

— أنت تعلم مدى ثقّى فيك وتقديرى لك يا (خالد) ،

فأنت أقرب صديق لى فى هذا العالم ؛ ولهذا سأخبرك بكل

شئ .. لقد صارحنى (محسن) أمس بأنه يحبّنى ، ويرغب فى

الزواج منّى فور حصوله على البكالوريوس هذا العام .

بدت الصدمة القاسية فى ملامحه ، فى حين لاذّت هى

بالصمت ، حتى سألها هو فى صوت شاحب :

—

* * * * * ٢٩ * * * * *

— أنت واثقة من مشاعره هذه ، ومن جذبة عرضه ؟

ليلي :

— لست أدري .. لهذا أحتاج إلى مشورتك ، فأنت تعرف (محسن) جيدًا ، إنه يبدو دومًا عابثًا لاهيًا ، يتعامل مع كل الأمور في استخفاف ، ولا يقيم وزنًا للمشاعر ، ولكنني شعرت بصدقه حقًا أمس .

اعتصر كلماته من شفثيه في صعوبة ، وهو يقول :

— وماذا عنك ؟ .. هل تحببته ؟

أطرقت برأسها أرضًا ، وهي تغمغم في حُفوت :

— إنني أكنم هذا الحب في قلبي منذ طفولتنا ، خشية أن

يكون (محسن) من ذلك النوع ، الذي لا يقيم للمشاعر وزنًا ،

ولقد أخفيت حبي بغلاف من الصداقة ، حتى لا يُصدم برفض

(محسن) له ، ولا يمكنك أن تتصور مدى سعادتي ، عندما

صارحني بحبه أمس ، وعلى نحو جاد تمامًا ، وإن كنت أجهل

لماذا تبدو لي تلك السعادة ناقصة .. ربما لخوفي الشديد ..

أشاح بوجهه عنها ، وراح يتطلع إلى البحر ، محاولًا إخفاء

آلامه وحزنه ، وقال في صوت يحمل شقاء الدنيا كله :

— إذن فأنت تحببته ؟

***** ٣٠ *****

وتبدلت قسماته ، وهو يلتفت إليها بغتة ، مستطرذا في جذة :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا لم

بتر عبارته في صعوبة ، وهو يبذل أقصى جهده للسيطرة على مشاعره ، فتطلعت إليه هي في خيرة وقلق ، وغمغمت :

— ماذا تريد أن تقول ؟

نجح في السيطرة على مشاعره ، وبدأ لها صوته أكثر هُدوءًا وحزنًا ، وهو يقول :

— لماذا لم تخبريني بذلك من قبل ؟ .. ألسنت صديقك

الوحيد كما تقولين ؟

تعلقت بذراعه ، قائلة :

— لا تجعل لديك أدنى شك في هذا ، ولكنني لم أخبرك ،

لأنني كنت أجهل حقيقة مشاعره ، وخشيت أن تدفعك

صداقتك له إلى إخباره ، فيتخذ من الأمر مدعاة للسخرية مني ،

ولحظتها كنت ساكره كما معًا ، وأنا أبغض أن يحدث ذلك ،

وأفضل أن يبقى (محسن) إلى جوارى صديقًا ، بدلًا من أن

أفقده تمامًا .

حبس دموعه في صعوبة ، وهو يقول :

***** ٣١ *****

— وماذا تريد مني الآن ؟

غمغمت :

— أريد رأيك ، الذي أثق فيه كثيرًا .

ابتسم في مرارة ، قائلاً :

— وما قيمة هذا الرأي الآن ؟ .. لقد حُسم الأمر ، فكلانا

يحبُّ الآخر ، وقد تصارحتما ، واتفقتما على الزواج .

هتفت في دهشة :

— (خالد) .. إنك لم تتحدث إليَّ أبدًا هكذا !!

قال في ضيق :

— معذرة ، ولكنني أخشى أن تكونا قد تسرَّعتما ،

والتسرُّع في مثل هذه الأمور يلحق بالمرء الكثير من الأذى ،

فليس هناك ما هو أقسى من صدمات الحب .

بدت بعض ملامح الخوف في عينيها ، وهي تقول :

— ولماذا تفترض أن حبنا سيتعرَّض لصدمة ؟

خالد :

— أنت قلت ذلك ، فأنت لا تثقين في إخلاص ووفاء

(محسن) ، وتخشين أن تنطبع عواطفه بشخصيته .

ليلي :

— ليتك تؤكد لي أن هذا غير صحيح .

خالد :

— أرايت ؟ .. أنت لا تسعين لمعرفة رأيي ، بقدر ما ترغين

في سماع عبارة تأييد تطمئنك على سلامة عاطفة ترغينها ،

وتريدين الاستمرار فيها إلى النهاية ، ولكن هذا خطأ ، فالحب

الحقيقي لا يحتاج إلى تصديق أو تأييد ، فلو أنك تحبين (محسن)

حقًا ، فستخرطين معه في عاطفتكما حتى النهاية ، مهما بلغت

مخاوفك .

ليلي :

— حديثك هذا يزيدني قلقًا .

خالد :

— الأمر لا يستحق هذا ، فحتى لو لم يكن (محسن) هو

الشخص المثالي ، الذي تتمنيته ، فأنت تحبينه ، وهذا هو المهم ،

والحب وحده قادر على أن يبدل الكثير من شخصية المرء ،

ولست أعتقد (محسن) بهذا السوء الذي تظنينه ، فقد يهوى

العُبث والاستخفاف بالأمر ، ولكن الأمر يختلف تمامًا ، عندما

ينظر إلى أمر ما نظرة جادة ، وليس هناك ما هو أجدر بتلك

النظرة الجادة ، من الحب والزواج .

ليلي :

— كم يُسعدني أن هذا رأيك !

— لا.. إنه مجرد شعور .

لم ينطق أحدهما بكلمة واحدة بعدها ، وسارا متجاورين في
صمت ، وإن شعرت (ليلي) في أعماقها أن (خالد) لم يكن
صادقًا معها ..

وأنه يخفي أمرًا ما ..
أمرًا يتعلق بها ..



* * * * * ٣٥ * * * * *

خالد :

— وكم يسعدني أن هذا قد أسعدك !

قالتها وأردف في سرعة ، قبل أن تغلبه مشاعره :

— والآن هل نعود ؟

سأله في خيرة :

— وماذا عنك ؟.. إنك لم تخبرني بالأمر الذي أردت أن

تحدثني به !

أطلق من أعماقه زفرة قصيرة ، وقال :

— لم يغد هناك من داع له .

سأله في خيرة :

— ماذا تغني ؟

شرد بصره نحو هدف وهمي ، وهو يقول :

— أغني أنه يتعلق بما أخبرتني أنت به ، فلقد شعرت أن

(محسن) يحمل لك عاطفة قوية ، وأردت أن أخبرك بهذا بحكم

صداقتنا .

سأله في لهفة :

هل صارحك بشيء ؟

أجابها في مرارة :

* * * * * ٣٤ * * * * *

« لِمَ لَمْ تخبرني ؟ .. »

نطقها (خالد) في مرارة ، فالتفت إليه ابن عمه

(محسن) ، وقال في هدوء :

— أخبرك بماذا ؟

قال في ضيق :

— بأنك تحب (ليلي) ، وتنوى الزواج بها .

ابتسم (محسن) ، وقال :

— هل أخبرتك هي ؟

خالد :

— قل لي : هل تحبها حقاً ؟ .. أغني هل أنت جادٌ في هذا

الشان ؟

محسن :

— وهل تحمل مثل تلك الأمور الهزل ؟

خالد :

— لقد رأيتك تهزل كثيراً في أمور شبيهة ، وآخرها قصتك

مع (مديحة) في الكلية .. هل نسيته ؟ .. لقد أوقعت المسكينة

***** ٣٦ *****

في حبك بكلماتك المعسولة وعواطفك المصطنعة ، ثم نبذتها
وتخلّيت عنها ، وحطمت قلبها بلا شفقة ، حتى أنها حوّلت
أوراقها إلى كلية أخرى .

محسن :

— ولماذا تذكر هذا الآن ؟ .. لقد أخبرتك من قبل أنني لَمْ

أعِد (مديحة) بشيء وليس ذنبى أنها قد أساءت تفسير مجاملاقي
لها ، وتصوّرتها نوعاً من الحب .

خالد :

— أنت تدرك مدى كذبك ، وأنت تردّد هذه القصة ،

فالكلية كلها تعلم أن الحب هو لعبتك المفضّلة .

هتف (محسن) :

— (خالد) .. لست أسمع لك .

قاطعته (خالد) في غضب :

— بل أنا الذي أرفض السماح لك بتكرار تلك اللعبة القذرة

مع (ليلي) بالذات .

صاح (محسن) :

— لا يا (خالد) .. (ليلي) بالنسبة لي تختلف ، فهي

صديقة طفولة ، ولو أردت العبث بعواطفها لفعلت منذ زمن ،

***** ٣٧ *****

ولكنى أشعر ذو ما بأنها أقرب إنسانة إلى قلبى ، وإن كنت أجهل
ما إذا كان ذلك حباً ، أم أنه نوع من الصداقة القويّة ، والروابط
المتينة ، التى تجمع بيننا وبين أسرّتنا !.. ولقد خشيت طويلاً
أن أكشف لها عن حقيقة مشاعرى ، خوفاً من ذلك ، فـ (ليلي)
ليست الفتاة التى يعبث أى مخلوق بعواطفها .. إنها تختلف كثيراً
عن الأخريات ، ولقد تأكّدت من حقيقة شعورى نحوها ،
عندما سافرت مع أصدقائى إلى (الإسكندرية) .. لقد شعرت
بالضيق والاكتئاب والوحدة بين الأصدقاء ، وشعرت بدافع
قوى يجذبني إلى هنا ، وعلمت عندئذ أنى أحبها ، وقررت أن
أبوح لها بهذا الحب .

أطرق (خالد) برأسه ، وهو يغمغم :

— إذن فأنت واثق من حبك لها .

هتف (محسن) فى حرارة :

تمام الثقة ، وأظنها تبادلنى هذا الحب .

خالد :

— وهل أنت جادّ فى أمر زواجك منها ؟

محسن :

— بالطبع .. سأعلن خطبتى لها فور حصولى على شهادة

البكالوريوس هذا العام .

* * * * *

خالد :

— وهل أخبرت عمى بذلك ؟

محسن :

— سأخبره ، ولكن بعد حصولى على البكالوريوس ، فليس
من المستساغ أن أذهب إليه ، وأنا طالب جامعى ، وأخبره
برغبتي فى الزواج ، وما زلت أتقاضى مصروفي منه .

تطلّع إليه (خالد) فى ارتياب ، ولكن (محسن) فتح
ذراعيه له ، قائلاً بابتسامة :

— (خالد) .. أنت ابن عمى ، وصديقى ، وصديق
(ليلي) منذ الطفولة .. أريد أن أرى نظرة السعادة فى عينيك
لأجلنا .. لا نظرات الشك والريبة ، فأنت الوحيد الذى تعلم
حبنا الآن ، وأريد منك أن تكون أوّل من يهنئنا .

اغرورقت عينا (خالد) بالدموع ، واحتضنه فى حرارة ،
قائلاً :

— أرجو لكما سعادة دائمة .

ثم أضاف فى انفعال :

— ويمكنك اعتبار هذه تهنئة مؤقتة ، والتهنئة الحقيقية يوم
خطبتكما .

* * * * *

محسن :

— أشكرك يا بن عمي العزيز .

خالد :

— ولكن تذكر ما قلته لك .. لن أسمح لك بتحطيم قلبها

أبدًا .

ضحك (محسن) ، وهو يقول :

— اطمئن .. ستبقى (ليلي) في قلبي وعيني دؤومًا .. والآن

اسمح لي ، فساذهب للقائها وحدي ، فلدي الكثير لأخبرها به .

قالها وأسرع يغادر القيلًا في لهفة ، وهو يلوح بذراعيه ،

و (خالد) يراقبه بقلب يعتصره الألم ، قبل أن يلصق جبهته

بالحائط ، ويغمض عينيه مرددًا :

— وداعًا لكل شيء .. وداعًا يا أحلامي ، ويا حبي الذي

لم يرَ النور .. وداعًا .

غادر (خالد) فراشه ، في ذلك القطر العربي ، وقد

أعجزته ذكرياته عن النوم ، وانتابه شعور بالاختناق ، ففتح

النافذة ، وراح يتطلع منها إلى الصحراء الممتدة أمامه بلا نهاية ،

وعادت به ذكرياته مرة أخرى إلى الشهور الأولى من تخرجه ،

عندما ذهب ليتسلم عمله في واحدة من شركات البترول ،
ويبدأ حياته العملية ..

كان المفروض أن يكون هذا من أسعد أيام حياته ..

لولا ما حدث ..

لقد استقبله أحد أصدقائه ، عند مدخل منزله ، قائلاً :

— (خالد) .. أسمح لي ؟

صافحه (خالد) في حرارة :

— أهلاً بك يا (ممدوح) .. تفضل .

ممدوح :

— شكرًا ، ولكنني على عجلة من أمري ، ولقد أتيت

لأسلمك رسالة هامة ، قبل سفري إلى (الإسكندرية) غدًا .

سأله (خالد) في دهشة :

— أية رسالة ؟

ممدوح :

— رسالة من (محسن) ، أعطاني إيّاها قبل سفره ،

وأوصاني بضرورة تسليمها لك .

هتف (خالد) ، وقد تضاعفت دهشته :

— ماذا تقول ؟ .. هل سافر (محسن) ؟

— ممدوح :

— عجبًا !!... ألا تعلم أنه قد سافر فجر اليوم إلى

(ألمانيا) ؟

هتف (خالد) :

— لماذا ؟.. ما الذى سيفعله هناك ؟

ممدوح :

— لقد كان يرسل فتاة ألمانية منذ أيام الدراسة ، ويبدو أنها

قد ساعدته على الحصول على عمل جيد ، فى واحدة من شركات

الكيمائيات الألمانية ، ولقد أرسلت إليه منذ أسبوعين ،

وطلبت منه السفر على الفور ، وتسلم عمله هناك .. عجبًا !!...

كيف لم يخبرك بذلك ؟.. على أية حال ، لاشك أنه قد شرح

لك كل شيء فى خطابه هذا .

أخذ (خالد) الخطاب ، وأسرع يصعد إلى منزله ، حيث

فضّه فى لهفة ، وراح يقرأ :

— « عزيزى (خالد) :

قد يبدو لك الأمر مفاجئًا ، ولكنك ستقدّر ، موقفى

حتمًا ، فلقد أردت الاحتفاظ بالأمر سرًا ؛ لأننى أعلم أن

الكثيرين سيعترضون على أمر سفرى إلى (ألمانيا) ، ولم أكن

* * * * *

لأضيع تلك الفرصة أبدًا ، فهى فرصة عمرى ، والمرء لا يلتقى

بفرصة عمره مرتين .. لقد كنت أرسل إحدى الألمانيات منذ

عدة سنوات ، حتى توطدت علاقتنا ، وهذه الفتاة ابنة واحد

من كبار رجال الصناعة فى (ألمانيا) ، وهو يمتلك عدة

شركات ، من بينها شركة للكيمائيات تناسب تخصصى ،

وقدّمت لى الفتاة عرضًا للعمل فى هذه الشركة ، وقبلته على

الفور ، وقرّرت السفر إلى (ألمانيا) ، وأخبرت والدى قبل

السفر بساعة واحدة ، ولكنى لم أستطع إخبار (لى) ، فأنت

تعلم صعوبة شرح شيء كهذا ، وإقناعها به ، مع استعدادها

الدائم لإساءة الظن بى ؛ لذا فقد رأيت أن أترك الأمر لك ،

لتتولاه نيابة عني .. ينبغى أن تقنعها بأن سفرى المفاجئ ليس

له من هدف ، سوى تأمين مستقبلنا ، وأن حُبّها سيقبى دومًا

فى قلبى ، ولن تُنقص منه الأيام أو المسافات ، أما بالنسبة للزواج

والاستقرار ، فسأرسل إليها قريبًا ، بعد أن تستقر الأمور فى

(ألمانيا) ، كما سأرسل لك عنوانى قريبًا ، لتظل على اتصال

بى ..

وداعًا .. وأدعو لك بالتوفيق ..»

(محسن)

* * * * *

طوى (خالد) الخطاب ، وألقاه فى عنف وغضب ، وهو

يهتف :

— الوغد .. لقد تخلى عنها .. تخلى عن (ليلي) ..

وبكى قلبه من أجلها ..



* * * * *

٥ — من أجلك ..

ارتجفت أصابع (ليلي) ، وشحِب وجهها ، واكسى بحزن عميق ، وهى تطالع خطاب (محسن) ، ولكنها حاولت أن تخفى ذلك ، وهى تغمغم :

— من الصعب أن يترك مثل هذه الفرصة .. أليس كذلك ؟

خالد :

— كان الجميع يعلمون أنه سيتقدم لخطبتك خلال أيام ، فكيف لم يقدر هذا عند سفره ؟ ولماذا اختار هذا التوقيت بالذات للسفر ؟ .. كان عليه أن يخبرك على الأقل ، ويُعدك لاستقبال أمر كهذا ، بدلاً من أن يكتفى برسالة من بضعة أسطر ، يتركها بعد رحيله .

ليلى :

— لقد ذكر فى رسالته أنه خشى أن تؤثر على قراره بالسفر .

خالد :

— بل خشى أن يتحمل مسؤولية ارتضاها لنفسه .

هتفت محتجة :

* * * * *

— (خالد) .. ماذا تقول ؟

خالد :

— أقول الحقيقة .. صحيح أن (محسن) ابن عمي ،
ولكنني أعرفه جيدًا .. هو أناني ، متقلب العاطفة .. لقد
لاحظت بنفسى تطوُّر علاقتكما في الآونة السابقة .. أنت
بنفسك أخبرتني عن فتور عاطفته نحوك ، وتباعد مرات لقائه
بك ، على الرغم مما كان يديه سابقًا من لهفة واشتياق إليك ..
وأنت نفسك لاحظت أنه يماطل في أمر الخطبة ، برغم وعده
بالاقتران بك ، وبرغم موافقة عمي وترحيبه بالأمر .. كل هذا
جعلني أشك في مشاعره نحوك ، وجدِّيَّة ارتباطه بك .

ارتسم الفزع على ملامحها ، وهي تهتف :

— لا يا (خالد) .. لا تقل ذلك .. أنت لا تعرف كم أحب

(محسن) !! وكم بنيت من آمال على هذا الحب !!

صار صوته حنونًا مشفقًا ، وهو يقول :

— ليت يدرك هذا ، ويدرك قيمة هذا الحب ، ويعرف كيف

يحافظ عليه .

قالت في صوت مرتعش ، وكأنها تحاول أن تطمنن نفسها :

— ولكنه سيعود .. سيعود أو يرثب الأمر على أي نحو ؛

ليتم ارتباطنا .

*** ٤٦ ***

قال في مرارة :

— ليتك على حق ، وليته يخيب ظنوني ، فما أحبُّ إلى أن

أراك سعيدة !!

وقد تحققت كل أحلامك .

ارتجفت يدها عندما احتضنتها بكفيها ، وهي تقول :

— أنت الصديق الوحيد الذي أثق به ، وأشعر بالأمان في

وجوده يا (خالد) ..

حاول أن تظل قريبًا مني في الفترة القادمة ، فهناك خوف

يعتريني .

جذب يده من يدها ، حتى لا تشعر بارتجاعته ، وهو يقول :

— ستجدينني قريبًا منك دومًا يا (ليلي) ، وطوع بنانك

وتأكدى أنه لا محلَّ لخوفك مادمت بالقرب منك .

قالت (ليلي) في امتنان :

— أشكرك يا (خالد) .. أشكرك كثيرًا ..

ولم يطلب أكثر من ذلك ..

بعد شهرين كاملين من هذا الحدث ، توجه (خالد) إلى

منزل عمه ، متسائلًا :

*** ٤٧ ***

— ماذا حدث يا عمي ؟ .. لقد أخبروني أنك تطلب
حضورى على الفور .

أجابه عمه فى صوت يحمل مزيجًا من الغضب والحزن :
— أخيرًا وبعد شهرين كاملين ، انقطعت خلاهما أخباره ،
أرسل ابن عمك هذه الرسالة ، وباليته ما فعل ، فلست أدري
كيف أسأت تربيته ، ليصنع بى كل هذا ؟ .. ألم يكفهِ أن فاجأنى
بأمر سفره قبل ساعة واحدة منه ؟ وأنه سافر دون موافقتى ؟ ..
ألم يكفهِ أنه لم يهتم طيلة شهرين كاملين بإرسال رسالة واحدة
يطمئننى فيها على أخباره ؟ .. ألم يكفهِ قلقى ومعاناتى من
أجله ؟ .. إنه يرسل رسالة مستهتره ، يقول فيها إنه سيستقر فى
(ألمانيا) وسيتزوج من ألمانية .. هكذا بكل بساطة واستهتار ،
ودون حتى عنوان للمراسلة ، متجاهلاً (ليلى) المسكينة ، التى
تركها فى حكم خطيبته ، ودون أن يفكر فيها لحظة واحدة ،
كيف ينسى يوم وافقت على زواجه منها ، فقفز صارخًا من شدة
فرحه ؟ .. كيف ينسانا جميعًا بهذه السهولة ؟

تقلصت ملامح (خالد) فى غضب هادر ، وهو يقول :
— هذا هو (محسن) .

ولم يكد الخبر يبلغ (ليلى) ، حتى أطلقت صرخة مختقة ،
وترنحت وهى تهتف :

* * * * *

— مستحيل ..!! مستحيل ..!! قل إنه خبر كاذب .

أجابها (خالد) فى إشفاق :

— لا يا (ليلى) .. إنه خبر صحيح .. أليس هذا هو
(محسن) ، الذى حذرتك منه ؟ أليس هو من ارتبطت به ،
وأنت ترتابين فى صدق مشاعره ؟ .. ألم أقل لك إنه أنانى
مستهتر ، لا يفكر إلا فى ذاته وحدها ؟

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

— ظننت أنه قد تغير .. تصوّرت أن حبه لى سيهزم كل
نقائصه .

قال وكأنه يؤنبها :

— لقد حاولت إيهام نفسك بذلك ، على الرغم من أن
تصرفاته معك فى الشهور الأخيرة كانت تؤكد العكس .

قالت فى انكسار :

— ولكننى أحبه .

اندفعت الكلمات من بين شفثيه غاضبة ، وهو يهتف :

— بعد كل هذا ؟! .. بعد أن تخلى عنك ، وتكرّر لوعده

معك ؟!

قالت باكية :

* * * * *

— أعلم أنه لا يستحق مجرد التفكير ، ولكن حبي له أقوى
من عقلي .

صمت (خالد) قليلاً ، وتحول غضبه إلى نوع من
الشفقة ، وهو يقول :

— لو أنني أملك ما أفعله من أجلك ما ترددت لحظة ،
ولكن

قاطعه في خجل :

— ألا يمكنك أن ترسل له أى خطاب ؟ .. أغنى هل يمكنك
الاتصال به ؟ و.....

هتف في حدة :

— أتقبل أن

قاطعه في ضراعة :

— أعلم أن هذا يتعارض مع الكرامة ، ولكن

قاطعها :

— حسناً .. لقد فعلت .. توصلت إلى عنوانه في
(ألمانيا) ، على الرغم من أنه يتعمد إخفاءه عن الجميع ،
وأرسلت إليه خطابين ، علّه يتراجع عن فعلته ، وحاولت أن
أذكره بعهده لك ، وأخاطب ضميره ، ولكنه أجابني بخطاب من

* * * * *

سطر واحد ، يقول : « الزمن يتغير ، ومن المحتّم أن تتغير
معه » ، فهل ترجين شيئاً من شخص كهذا ؟
حاولت أن تبدو متعاسكة ، وهى تجلس فى بطاء ، قائلة :
— أنت محق فيما تقول .. لم يعد هناك ما يترجى من شخص
مثله .

ولكن دموعها غلبتها ، على الرغم من محاولتها التحكم في
مشاعرها ، فأنحدرت فوق وجنتيها دون أن تقوى على كبجها ،
وخفق قلب (خالد) لرؤية دموعها ، فجثا على ركبتيه إلى جوار
مقعدتها ، ومسح دموعها بأصابعه ، قائلاً :

— لا تبكى يا (ليلي) .. أرجوك .. لقد خشيت من
رؤيتك الخطاب لهذا .

هبت واقفة ، واندفعت تغادر الحجرة ؛ لتذرف دموعها
وحدها ، وتابعها هو بعينين ملوئهما الحب والحنان ، وهو يقول
في أسى :

— ليتك تدركين كم أحبك !! وكم أتألم من أجلك !! لا يهم
أن تدركى مشاعرى أو تجهليها .. المهم أنني لا أطيق رؤيتك
تألمين .

* * * * *

وتطلع إلى صورتها المعلقة على الحائط ، وزفر في قوة ،
مستطرذا :

— وسأفعل أى شيء من أجلك .. أى شيء ..
وكان صادقاً ..



* * * * * ٥٢ * * * * *

٦ — ثمن الحب ..

عقدت الجدّة ذراعيها أمام صدرها ، وصرخت في (ليلي)
بشدة :

— ما زلت تفكرين فيه .. أليس كذلك ؟
أشاحت (ليلي) بوجهها عنها ، مغممة :
— لا .. ليس هذا صحيحاً .. ما الذى دفعك إلى هذا
القول ؟

قالت الجدّة ، وعيناها تحملان مزيجاً من العطف والشفقة :
— أتخدعيني أم تخدعين نفسك ؟ .. صدّقيني يا بنيتى ..
صحيح أن (محسن) حفيدى ، ولكنه لا يستحق حبك ، فهو
أنانى مستهتر ، لا يقيم وزناً لعاطفة أو عهد ، وبضع كلمات
معسولة ، ووعده فى أمسية جميلة ، لا يكفيان لزواج ناجح .
ارتعشت الكلمات ، وهى تخرج من بين شفتى (ليلي) :
— ولكننى

قاطعتها الجدّة :
— تحيّن .. أعرف ذلك .. لقد مررنا جميعاً بتجربة الحب

* * * * * ٥٣ * * * * *

الأول ، وهى ترك حقًا أثرًا قويًا فى النفس ، ولكنها غالبًا
ما تكون بعيدة عن الحب الناضج الحقيقى .. ولو أردت رأى ،
لقلت لك إن (خالد) أصلح لك من (محسن) ، فهو شخص
ناضج ، يسبق عمره بسنوات ، كما أنه مخلص لمشاعره ومبادئه ،
وسعيدة حقًا من ترتبط به .

تطلعت (ليلي) إلى الجدة فى دهشة هزمت حزنها ، وكأنها
تكشف أمرًا خفى عنها طويلًا :

— (خالد) ؟! .. ولكنه بالنسبة لى دومًا مجرد أخ عزيز
وصديق مخلص !!

قالت الجدة فى هدوء :

— ولكنه يحبك .

اتسعت عيناها دهشة ، وهى تهتف :

— يحبنى أنا ؟

— نعم .. إننى أرى حبه لك واضحًا فى عينيه منذ صبا كما ،
وهو حب كبير مخلص .

— ولكنه لم يصرح لى بشيء كهذا أبدًا !

— ربما لأنه علم أنك لا تبادلينه مشاعره ، فاحتفظ بها

لنفسه .

— هل أخبرك بذلك ؟

— لا بالطبع ، ولكن خبرتى بالحياة وبه جعلتنى أدرك
ذلك .. إن (خالد) صاف حتى أن مشاعره تطل من عينيه
دومًا .

غمغمت (ليلي) فى حزن :

— مسكين (خالد) .. كنت أجرح مشاعره دومًا
بالحديث عن حبنى لـ (محسن) ، دون أن أدرك أنه يحبنى .. كم
أشعر بالذنب تجاهه ، ولكن الأمر ليس بيدي .
رَبَّتِ الجدة على شعرها ، قائلة :

— أعلم يا بنيتى .. أعلم أن القلوب والمشاعر لا تخضع
لحكم المنطق أو العقل ، ولكن الصداقة والثقة اللتين تربطان
بينك وبين (خالد) .. أليستا دليلًا على وجود تقارب قوى
بينكما ؟ .. أليس من الممكن أن يتحوّل ذلك الارتباط إلى نوع
آخر ؟

ليلي :

— ولكن يا جدّتى ، ما بينى وبين (خالد) ..

قاطعتها الجدة :

— ولم لا تحاولين يا بنيتى ؟ حاولى ولن تندمى ، ومن
يدرى ؟ ربما كان فى ذلك شفاؤك من حب (محسن) .. من
يدرى ؟!

غادر (خالد) مطار العاصمة الألمانية (بون) ، واستقل
واحدة من سيارات الأجرة ، وهو يدفع إلى السائق قصاصة
ورق تحمل اسم وعنوان (محسن) ، وترك السيارة تنطلق ،
حتى توقفت أمام منزل منفرد ، فغادرها (خالد) ، واتجه إلى
ذلك المنزل ، وطرق بابه في هدوء ، وانتظر حتى فُتح الباب ،
وأطلت منه سيّدة متوسطة العمر ، سألتها في احترام :

— عفواً يا سيدتي .. أتحدثين الإنجليزية ؟

— نعم .

— إنني أبحث عن السيّد (محسن) .

— إنه يقيم هنا ، وأنا مدبرة منزله .

— حسناً .. هل يمكنني أن أقابله ؟

— إنه الآن في عمله ، في شركة الكيماويات .

— أيمكنني أن أنتظره ؟ .. إنني ابن عمّه .

— لست أظن ذلك ، فهو سيتناول العشاء الليلة مع خطيبته

(أوجا) .

— حسناً .. أيمكنك منحى عنوان الشركة ؟

منحته العنوان ، فانطلق بسيّارة أخرى من سيارات الأجرة

إلى الشركة ، وهناك اجتاز ممراً رخامياً أنيقاً ، وراح يتطلّع إلى

* * * * * ٥٦ * * * * *

الأبواب المغلقة ، المصنوعة من شجر الصنوبر ، وكل منها يحمل
لوحة اختصاص بالألمانية ، مما منح شعوراً بالثّيق ، إلى أن لمح
رجلاً يغادر إحدى الحجرات ، فأسرع إليه قائلاً :

— من فضلك ، أين أجد الهُرّ (محسن خيرى) ؟

أشار إليه الرجل نحو باب زجاجى في نهاية الممر ، فشكره
(خالد) ، واتجه إلى الباب ، وطرقه في هدوء ، قبل أن يفتحه

ويتقدّم إلى الداخل ، فتطلّعت إليه فتاة تجلس خلف مكتب
دائري يتوسط الحجرة ، وعيناها تحملان نظرة تساؤل ، فقال :

— قيل لى إنه يمكننى مقابلة الهُرّ (محسن) هنا .

أجابته في برود :

— إنه مشغول الآن .

أجابها بنفس البرود :

— أخبريه أنني أرغب فى مقابلته لأمر هام ، وأبلغه أنني

ابن عمّه (خالد) .

تطلّعت إليه برهة فى تردّد ، ثم نهضت وطرقت باباً جانبيّاً ،

ودلفت عبّره فى سرعة ، وأغلقت خلفها ، ثم لم تلبث أن عادت

بعد لحظات ، ووجهها يحمل ابتسامة ترحيب كبيرة ، ودعته

إلى الدخول ، واستقبله (محسن) فى الداخل ، هاتفاً :

* * * * * ٥٧ * * * * *

— يا لها من مفاجأة سارة! .. ابن عمي العزيز هنا في بون!
صافحه (خالد) في هدوء، وهو يدير عينيه في الحجرة
البالغة الأناقة، وتطلع إلى الفتاة الشقراء الفاتنة، التي تجلس
على المقعد المواجه لمكتب (محسن)، وقال:
— كان من الضروري أن أحضر بنفسى لزيارتك، وأنقّب
عن عنوانك، مادمت تضمن علينا بالخطابات.

قال (محسن):

— أنت لا تدرك مدى صعوبة العمل هنا، فالمرء ينهمك هنا
في العمل كالآلة، حتى لا يجذ وقتا للمراسلات.
ألقي (خالد) نظرة أخرى على الحجرة الفاخرة، وهو
يغمغم:

— نعم .. إننى أدرك صعوبة عملك هنا.

تأبط (محسن) ذراعه، وقاده نحو مكتبه، قائلاً:

— تعال لتعرف (أولجا)، خطيتى الحالية، وزوجتى
المقبلة.

صافحها (خالد) وهى تبسم ابتسامة خلابة، وهتف
(محسن):

— أأست معى فى أنها فاتنة؟

***** ٥٨ *****

قال (خالد) متهمًا:

— بالتأكيد .. وكوئنها ابنة صاحب العمل يزيد لها فتنة ..

أليس كذلك؟

تجاهل (محسن) سُخريته، وهو يقول:

— تفضل يا (خالد) .. تفضل.

وتبادل بضع كلمات ألمانية مع (أولجا)، نهضت على
أثرها، وألقت التحية على (خالد)، ثم غادرت الحجرة،
فقال (محسن) مبتسمًا:

— لقد طلبت منها الانصراف لتحدث معًا.

ولكننى أعلم أنكما ستناولان طعام العشاء معًا.

— نعم .. إنها ستسبقنى إلى المطعم.

— هذا يعنى أن وقت الحديث بيننا محدود.

— ما زال أمامنا الكثير من الوقت، فستزل فى ضيافتى

طوال إقامتك هنا.

— اسمع يا (محسن)، سأغادر (بون) غدًا، ولدى

موضوع واحد، أحب أن أتحدث فيه معك، وأظنك تعرفه
جيدًا.

— قل لى أولًا .. هل زرت منزلى، قبل حضورك إلى

الشركة؟

***** ٥٩ *****

— نعم .

— ما رأيك فيه ؟

تطلع إليه (خالد) في دهشة واستكار ، وقال :

— أتظنني قطعت كل هذه المسافة لأبدى إعجابي بمنزلك ؟

ولكن (محسن) كرر سؤاله في هدوء :

— ما رأيك فيه حقًا ؟

تذرع (خالد) بالصبر ، وهو يقول :

— إنه منزل جميل .

هتف (محسن) :

— بل قل رائع .. إنه يليق بمدير شركة كبرى ، وكذلك

سيارتي (المرسيدس) .. إنها من أحدث طراز .. هل رأيتها ؟

هتف (خالد) في غضب :

— أتحاول استعراض ثرائك ؟

ابتسم (محسن) ، وهو يقول :

— بل أحاول تنبيهك إلى حقيقة التحول الذي حدث لي

هنا .. لقد تغيرت أمور كثيرة ، ولم أعُد (محسن) الذي

تعرفه ، العاثر المستهتر ، المستخف بكل شيء .. لقد صرت

رجلاً مرموقاً ذا مكانة ، ولدي أشياء كثيرة أتمسك بها ،

***** ٦٠ *****

وأحافظ عليها .. منزل رائع ، وظيفة مرموقة ، حساب البنك ،

زوجة ثرية جميلة .. أتطلب مني التنازل عن كل هذا لقاء بعض

الرومانسيات السخيفة ، ووعد قطعه على نفسي في لحظة طيش

وانفعال ؟ .. أليس هذا ما أتيت تطالبي به ؟

قال (خالد) :

— هل أصبح حبك لـ (ليلي) مجرد رومانسيات سخيفة ،

ووعد طائش أحق ؟ أتذكر حديثنا معاً في (الإسماعيلية) ، أم

تحب أن أذكرك به ؟ .. لقد قلت ليلتها إن (ليلي) ليست الفتاة

التي يعبث مخلوق بعواطفها ، وإنك واثق تمام الثقة من مشاعرك

نحوها ، ومن رغبتك في الزواج منها .. لقد عاهدتني على هذا .

محسن :

— لم أكن كاذباً آنذاك .. كان هذا هو شعوري نحوها ،

ولكنه تغير ، كما تتغير أشياء كثيرة في الحياة .

حملت عينا (خالد) نظرة ازدراء ، وهو يقول :

— وما الذي غيرها ؟ .. حساب بالبنك وسيارة فاخرة ؟

ما أرخص ثمن تبديل مشاعرك !!

محسن :

— لست أرغب أو أستطيع أن أكون مثاليًا مثلك ، فأنت

***** ٦١ *****

تحمل روح فرسان القرون الوسطى ، أما أنا فأحب هذا
العصر ، وأقدر منافعه كثيرًا ، فالثمن الضئيل الذى تتحدث
عنه يكفينى لأبدل جنسيتى كلها ، وليس أحاسيسى فقط .

خالد :

— لا فائدة إذن .

محسن :

— لقد حسمت الأمر فى خطابى الأخير .

قال (خالد) مستعطفًا :

— أتعلم كم سبب خطابك الأخير لـ (ليلي) من آلام لها ؟ ..

إنها تحبك فى شدة ، ولن تتوقف عن حبك أبدًا .

— إننى أشعر بالأسف من أجلها ، ولم أكن أتمنى أن يحدث

هذا ، ولكن صدقنى الأيام كفيلة بمداواة جروحها ، وستساقى

مع مرور الوقت ، وتجدر من يناسبها أكثر منى .

— مهما كان رأيك فى مبادئى ، فأنا أعتقد أنك الشخص

الذى يستحق الأسف لاهى ، فأنت غير جدير بفتاة مثلها .

— لا داعى لهذا الأسلوب المسرحى الدرامى ، فـ (ليلي)

ليست سوى فتاة عرفناها طفلة وصيئة ، وقضينا معها أوقائًا

سعيدة من اللهو والمرح ، خلال العطلات الصيفية ، وربما

***** ٦٢ *****

جعلنى هذا التقارب أشعر بشيء من العاطفة نحوها ، وهذه
الأمور تحدث وتنتهى ، وسترى بنفسك أنها لن تلبث أن تبحث
عن شاب آخر ، وتعمل على إيقاعه فى شباكهها ، بعد أن تنزع
عن وجهها قناع العذاب والألم ، الذى خدعتك به ، لتدفعك
إلى السفر ، ومحاولة إقناعى بالعودة إليها .. لقد استغلّتك ،
وابتزرت مثالياتك ، و

قاطعته لكمة قوية ، طرحته أرضًا ، وسمع (خالد) يهتف

فى غضب :

— ستظل أبدًا عابثًا مستهترًا أنانيًا جشعًا وقحًا .. كم

يوسفنى أنك ابن عمى !! إننى لم أتصور أبدًا أن هذا هو رأيك

فى (ليلي) ، فهى ليست من ناصبى الشباك ، ولا من مستغلى

الآخرين .. وأنت تعلم جيدًا من ينطبق عليهم هذا الوصف .

واندفع خارجًا ، وأغلق الباب خلفه فى عنف ..

***** ٦٣ *****

كان بهم بركوب سيّارته ، بعد أن غادر مقرّ عمله ، عندما
سمع صوتها يناديه ، فاستدار إليها ، وراها تسرع إليه ، قائلة :
— إننى أنتظرك منذ بضع دقائق .

خالد :

— ولم لم تصعدى ؟

ليلي :

— لم أجد داعيًا لذلك ، فلقد كنت أعلم أن موعد
انصرافك سيحين بعد قليل .

— وما الذى جاء بك من (الإسماعيلية) ؟

— ألا تعلم ؟.. لقد التحقت بعمل فى واحدة من الشركات
الاستثمارية بالقاهرة .

— متى حدث هذا ؟

— منذ يومين ، وأنا أقوم حاليًا مع عمّتى فى (مصر
الجديدة) ..

— إنها أنباء طيبة .

— عاينى عيىح لنا هذا أن نلتقى كثيرًا ، ولن يقتصر
الأمر على العطلات .

***** ٦٤ *****

ارتبك وهو يغمغم :

— نعم .. نعم .. بالطبع .

قالت وقد لاحظت ارتباكها :

— ألن تدعونى لركوب سيّارتك ؟

هتف :

— بلا شك .. هيّا .. سأوصلك إلى منزل عمّتك .

وضعت يدها فوق يده ، قائلة :

— (خالد) .. ما رأيك لو ذهبنا إلى مكان نتحدّث فيه

قليلاً ؟

ازداد ارتباكها فى شدة ..

إنها أوّل مرّة تطلب منه (ليلي) الذهاب إلى أحد الأماكن

العامة ، خارج (الإسماعيلية) ، وراح يتساءل عما ترغب فى

التحدّث إليه فيه ، وهل ستجرح مشاعره مرّة أخرى بحديثها

عن (محسن) ؟ ..

وانطلق بها بسيّارته ، وهو يشعر بالاضطراب والقلق ..

والخيرة ..

***** ٦٥ *****

[٥م — زهور (٣٧) لن أعود]

سألها بعد أن انتهى من تناول الطعام ، في أحد المطاعم المطلّة
على النيل :

— ماذا تشربين ؟

قالت بلا اهتمام :

— أى شيء .

طلب لنفسه قدحاً من القهوة ، ولها كوباً من العصير ، ثم
أسند ذقنه إلى قبضته ، وهو يتطلع إليها منتظراً حديثها ،
وحدقت هي بذورها في وجهه ، وكأنها تكشف أشياء خفيّة
عنها طويلاً ، وقالت :

— (خالد) .. هل سافرت إلى (ألمانيا) حقاً منذ أيام ؟

أطرق برأسه ، وكأنما كان يخشى هذا السؤال ، وأجاب :

— نعم .

— أذهبت لمقابلة (محسن) ؟

— نعم .

— لماذا ؟

رفع عينيه إليها ، مغمغماً :

— ماذا تغنين ؟ .. إنه ابن عمى وصديقى ، ومن الطبيعى

أن أذهب إليه خلال رحلة سياحية .

* * * * *

— كُفّ عن هذا ، فالرحلة السياحية لا تستغرق يوماً
واحداً ، فلماذا تتجشّم كل هذا الجهد والنفقات ؛ لتلتقى
بـ (محسن) ليوم واحد ؟

— أهو تحقيق ؟

— يمكنك اعتباره كذلك .

— حسناً .. لقد شعرت بمدى قلق عمى على (محسن) ،
فسافرت إليه ، و
قاطعته :

— هل نسيت أننى أعرفك منذ طفولتك ، وأنه لن يمكنك
أن تكذب علىّ مهما حاولت ؟

قال مصطنعاً الغضب :

— ماذا تغنين ؟

— أغنى أنك قد سافرت إلى (ألمانيا) خصيصاً من أجلى .

— غير صحيح .

— بل صحيح .. إنك لم تحتمل رؤيتى أتألم أمامك ، عندما

تقابلنا فى المرة الأخيرة فى (الإسماعيلية) ، فسافرت إلى

(ألمانيا) فى محاولة لإثراء (محسن) عن قراره بالزواج من

الألمانية .. لقد فعلت هذا من أجلى ، تجشّمت مشقة السفر ،

* * * * *

وَحَمَلْتُ مِشَاعِرَكَ مَا يَفُوقُ طَاقَتَهَا حَتَّى لَا تَرَانِي أَتَأَلَّمُ .. فَعَلْتَهَا
لَأَنَّكَ شَخْصٌ نَبِيلٌ .. كَيْفَ لَمْ أَشْعُرْ بِكُلِّ هَذَا التُّبَلِّ مِنْ قَبْلِ ؟ ..
حَتَّى عِنْدَمَا رَفَضَ (مَحْسَن) مَطْلِبَكَ ، لَمْ تَحَاوِلْ جَرْحَ مِشَاعِرِي
بِرَفْضِهِ ، بَلْ أَخْفَيْتَ عَنِّي الْأَمْرَ كُلَّهُ .
تَظَاهَرُ بِالْإِسْتِخْفَافِ ، قَائِلًا :

— إِنَّكَ تَجْعَلِينَ مِنِّي بَطْلًا بِلَا مَبَرَّرٍ ، فَأَنَا لَمْ أَفْعَلْ هَذَا ،
(مَحْسَن) لَيْسَ الشَّخْصُ الَّذِي نَسْعَى إِلَيْهِ وَنَسْتَعِظُفُهُ ، وَثِيقِي
بِأَنَّهُ لَنْ يَلْبِثَ أَنْ يَدْرِكَ خَسَارَتَهُ لِفَقْدِكَ ، وَيَأْتِيكَ زَاحِفًا ،
و
قَاطِعَتُهُ :

— وَلَكِنَّكَ لَمْ تَتَفَكَّرْ فِيمَا إِذَا كُنْتَ أَسْتَحِقُّهُ أَمْ لَا ، بَلْ أَرَدْتَ
فَقَطُّ أَنْ تَمُحُو عَنِّي هَذَا الْعَذَابَ لِهَجْرِهِ ، وَفَعَلْتَ هَذَا عَلَى الرَّغْمِ
مِنْ أَنَّكَ تَحِبُّنِي مِنْذُ سِنَوَاتٍ ، دُونَ أَنْ تَصَارِحَنِي بِهَذَا .
هَتَفَ فِي ارْتِيَاعٍ :

— (لَيْلَى) .. مَاذَا تَقُولِينَ ؟
لَيْلَى :

— لَا تَحَاوِلْ إِخْفَاءَ الْحَقِيقَةِ عَنِّي مَرَّةً أُخْرَى .. لَقَدْ أَخْبَرْتَنِي
جَدَّتْكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَأَدْرَكْتَ كَمْ كُنْتَ حَقِيقًا ؛ لِأَنَّنِي لَمْ أَدْرِكْ
ذَلِكَ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ .. لِمَاذَا لَمْ تَبْخُ لِي بِمِشَاعِرِكَ ؟ .. لِمَاذَا ؟

* * * * *

أَطْلَقَ زُفْرَةً قَصِيرَةً ، وَهُوَ يَتَطَّلَعُ إِلَى إِنَاءِ الزَّهْوَرِ أَمَامَهُ ،
مَغْمَغَمًا :

— وَهَلْ كَانَ هَذَا سَيَغْيَرُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْئًا ؟ .. الْحُبُّ
إِحْسَاسٌ ، يَنْبَغِي أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ دُونَ قَوْلٍ ، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَنِي
أَقْفَ عِنْدَ حَدُودِ الصَّدَاقَةِ وَالثِّقَةِ فَحَسَبَ ، فِي حِينٍ كَانَ
إِعْجَابُكَ بـ (مَحْسَن) طَافِيًا ، حَتَّى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي
اسْتَجْمَعْتَ فِيهِ شَجَاعَتِي ، وَقَرَّرْتَ أَنْ أَصَارِحَكَ بِحُبِّي ،
أَخْبَرْتَنِي أَنَّ فِيهِ بَأَنَّهُ هُوَ صَارِحُكَ بِحُبِّهِ ، وَبِأَنَّكُمْ قَدْ تَعَاهَدْتُمَا
عَلَى الزَّوْاجِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامِي — حِينَذَاكَ — سِوَى دَفْنِ
مِشَاعِرِي فِي قَلْبِي إِلَى الْأَبَدِ .

انْحَدَرَتْ دَمْعَةٌ مِنْ عَيْنَيْهَا ، وَهِيَ تَشِيحُ بِوَجْهِهَا مَغْمَغَمَةً :
— يَا لِي مِنْ حَقَاءٍ ! .. يَا لِي مِنْ جَاحِدَةٍ !
لَا تَلُومِي نَفْسَكَ ، فَنَحْنُ لَا نَمْلِكُ مِشَاعِرَنَا .
— كَيْفَ تَحْمِلُ لِي كُلَّ هَذَا الْحُبِّ ، دُونَ أَنْ أَدْرِكَ ذَلِكَ ؟
— لِأَنَّ قَلْبَكَ لَمْ يَكُنْ يَرَى سِوَى (مَحْسَن) .
— وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ تَسْعَى خَلْفَهُ ، وَتَحَاوِلُ إِقْنَاعَهُ
بِإِعَادَتِي إِلَيْهِ ؟

— مَا هُوَ الْحُبُّ إِذَنْ ، لَوْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ ؟
— إِنَّكَ تَحْيِرُنِي حَقًّا يَا (خَالِد) .

* * * * *

— لو قُست ذلك بمقيار الحب لذهبت حيرتك ، فهناك
فارق رهيب بين الأنانية والحب .

— إنه تفسير مثالي أكثر من اللازم ، ولكنه يناسب
شخصيتك النبيلة .

— ألا ترين أن الوقت قد حان لعودتك إلى منزلك ؟ أخشى
أن تقلق عمّتك .

— هل يمكنك أن أراك غدا ؟

— إذا أردت أنت ذلك .

قدّمت له بطاقة صغيرة ، وهي تقول :

— هذا عنوان الشركة التي أعمل بها ، وأنا أنتهى من عملي
في الرابعة مساءً .

ابتسم مغمغماً :

— سأكون هناك في هذا الموعد بالتحديد .

وقال وهو يقود سيارته :

من العجيب أنك لم تسأليني عن (محسن) ، وعمّا أسفرت
عنه مقابلتاي (ألمانيا) !!.. كنت أظنك متشوّقة لمعرفة ذلك .

قالت بلا مبالاة :

— لم تُعد أخباره مهمّنى .

* * * * *

— أهو رد فعل تحكمه كرامتك وكبرياؤك ؟

— أتصدّقنى لو أخبرتك أننى لم أَعُدْ أهتم به حقاً ؟

— نعم .. ولكننى ما زلت أبحث عن تفسير .

— ربما كان هناك جزء يخصّ كبريائى وكرامتى ، ولكن
الفضل الأوّل يرجع إليك أنت .

كان قد بلغ منزل عمّتها ، ولكن نطقها للعبارة الأخيرة جعله
يوقف السيارة بحركة حادّة ، وبلغت إليها هاتفًا :

— أنا ؟!

ابتسمت قائلة :

— نعم .. إننى أراك الآن بعيون جديدة يا (خالد) .

وأسرعت تغادر السيارة ، قبل أن يفيق من وقع العبارة ،
وهي تلوّح له بكفّها ، هاتفة :

— لا تنس موعدنا غداً .

وهتف قلبه :

— مستحيل !!.. مستحيل أن أنسى موعدنا معك !!

* * *

* * * * *

٨ — اعتراف بالحب ..

لم تكذ تراه ، حتى اتجهت إلى سيارته ، وشفطتها ترسمان
ابتسامة صافية ، وهي تقول :

— خشيت ألا تحضر .

فتح لها باب السيارة ، قائلاً :

— وهل تأخرت عن موعدك أبداً ؟

جلست على المقعد المجاور له ، وتطلعت إليه ، قائلة :

— أبداً ، ولكن هذا الموعد يختلف — بالنسبة لي — عن

مواعيدنا في (الإسماعيلية) .

— لست أفهم .

— ستفهم كل شيء ، عندما نجلس معاً في ذلك

(الكازينو) ، المٌطل على النيل .

ظل صامتاً حتى بلغا المكان ، وهناك جذب مقعداً حول

مائدة مُطلّة على النيل ، ودعاها للجلوس ، ثم اتجه إلى الناحية

المقابلة ، ليتخذ لنفسه مقعداً ، ولكنها أمسكت يده قائلة :

— تعال اجلس هنا .. إلى جوارى .

تطلّع إليها برهة في خيرة ، ثم أطاعها قائلاً في حرج :

— أخشى أن يظنونا حبيين .

قالت :

— ولماذا تخشى ؟.. ألا يمكن أن نكون كذلك بالفعل ؟

ازدادت خيرته ، وهو يتطلّع إليها ، قائلاً :

— ماهذا الكلام يا (ليلي) ؟.. ماذا أصابك ؟.. إنك

تتحدثين على نحو لم أعتده منك قط !

قالت محاولة دفع كلماتها إلى قلبه :

— أصابني سهم الحب .

ارتبك وهو يقول :

— (ليلي) .. حاولي أن تنسى حبك لـ (محسن) ،

فهو

قاطعته ، وهي تلمس يده بأناملها :

— ومن تحدّث عنه ؟.. لقد انتهى (محسن) من حياته إلى

الأبد .. إنني أتحّدث عنك أنت .. إنني أحبك يا (خالد) .

جذب يده بعيداً عنها ، وهو يهتف :

— لا يا (ليلي) .. إنني أرفض هذا .

هتفت مذهولة :

— ترفض حبي ؟!

قال :

— كم تمنيت أن أسمع هذه الكلمة من بين شفئك
يا (ليلي) ، ولكن ليس في مثل هذه الظروف ، أنت لست
مدينة لي بشيء .

قالت في مزيج من القلق والحيرة :

— ماذا تعني ؟ .. أية ظروف ؟ .. وأي دين ؟

هتف :

— إن ما تشعرين به نحوى ليس حبًا حقيقيًا .. لقد كشفت
فجأة أنني أحبك منذ زمن ، وأننى أطوى هذا الحب في قلبي ،
وصبغت على عددًا من الصفات النيلة ، تحت تأثير كشفك
المفاجئ ، وتأثرك بسفرى إلى (ألمانيا) ومحاولتى إعادة
العلاقات بينك وبين (محسن) ؛ لذا يدفعك شعورك بالذنب
نحوى ، أو شعورك بالواجب ، أو كلاهما إلى منجى حبًا لا يجد
مكانًا حقيقيًا في قلبك ، وأنا أرفض هذا ..

— (خالد) .. لم يخطر هذا ببالى قط .

— ولكنه الحقيقة ..

— الحقيقة هى أنني أحبك .. ربما لم أكشف هذا إلا قريبًا ،
ولكنها الحقيقة .. من تلك التى لا تحبُّ رجلًا له كل صفاتك ؟ .

* * * * *

— لقد كان ذلك الرجل أمامك ، منذ كان طفلًا ، فلماذا

برز حبه في قلبك الآن ؟

أتخذه عيني أم تخدعين نفسك ؟

قالت ، وعيناها تحملان نظرة رجاء :

— (خالد) .. أخبرتك أننى أراك الآن بعيون جديدة ،

وليتك ترانى كذلك بدورك .. ليتك تنسى (ليلي) صديقتك ،

التي حبست عنها عواطفك ، عندما كانت عمياء ، تهب قلبها

لمن لا يستحق ، وترى (ليلي) التى تحبك ، ولم ولن تحب

سواك .

قال متوترًا :

— (ليلي) .. تذكرى أننى لا أطلبك بشيء ، ويمكننى أن

أحيا عمري كله محتفظًا بحبك في قلبي دون مقابل ، ولكننى

لا أحتمل أن تحدثينى عن مشاعر لا وجود لها في قلبك ،

ولا تثقين بصحتها .

قالت ، وهى تهز رأسها فى يأس :

— لست أدري كيف أقنعك بصدقها ؟

— هل اخترت مشاعرك جيدًا ؟

— لم تكن تحتاج إلى اختبار ، فأنا أحبك .. ألا تبنى ذلك ؟

* * * * *

انفرجت أساريره ، وتناول كفها في راحتيه ، قائلاً في
سعادة :

— هذا أسعد يوم في حياتي يا (ليلي) .. لقد خلّمت به
دوماً ، دون أن آمل تحوُّله إلى حقيقة ، والآن صارت الحقيقة
لي خلماً .. خلماً جميلاً .
سألته في لهفة .

— (خالد) .. أتجنّبي حقاً ؟

ابتسم في حنان ، وهو يقول :
— ياله من سؤال !
وبدأت قصة حُبهما ..

كانت الأيام التالية هي أسعد أيام حياة (خالد) ، فلقد بدّل
الحبُّ بينه وبين (ليلي) تلك الحياة تماماً ، وأضفى عليها بهجة
وانتعاشاً لم يعرفهما من قبل ..

وذات ليلة شعر بجسدها يرتجف إلى جواره ، وهما يتأملان
نجوم سماء صافية ، فخلع سترته ، وأحاط بها كتفياً ، وتأمّلته
في حبٍّ ، هامسة :

— كم أنت خنُون !!

*** * * * * *

ابتسم قائلاً :

— وكم أنت جميلة !!

ألقت رأسها على كتفه ، وهي تردّد في خفوت :

— أشكرك يا (خالد) .

سألها وهو يداعب خصلات شعرها الناعم :

— على ماذا ؟

أجابته في هيام :

— على كل الأشياء الجميلة ، التي بعثتها في نفسي .. لقد
أعدت إليّ الثقة ، وجعلتني أنظر إلى الحياة نظرة مختلفة ، وأؤمن
بالحبّ مرّة أخرى .

أحاطها بساعده ، وهو يحكم سترته حول كتفها ، وقال :
— (ليلي) .. هل توافقيني على أن شهراً كاملاً يعدّ فترة
كافية لاختبار المشاعر ؟

رفعت رأسها عن كتفه ، وتطلّعت إليه في خيرة ، مغممة :
— ماذا تغني ؟ .. لست أفهم !

أجابها :

— أغني أنه ، وقد مرّ شهر كامل على تصارحنا بالحبّ ،
وتعدّدت فيه لقاءاتنا ، ووثق كل منا من حقيقة مشاعره نحو

*** * * * * *

— (ليلي) .. سأسافر بعد غد إلى (الإسماعيلية) ؛ لطلب
يدك من والدك ، وسأحاول أن أجعل خطبتنا قصيرة ، فأنا
متلهف على أن تصبحي زوجتي .
أغمضت عينيها ، وتنهدت قائلة في سعادة :
— ليس أكثر مني يا (خالد) .
وانطلق بالسيارة ..
وبقلبه ..



الآخر ، ألا ينبغي أن تنتقل إلى الخطوة التالية ؟ .. أغني أن نصبح
حيناً بصيغة شرعية ، وأن أطلب منك تحديد موعد مع والدك ؛
لأعلنه برغبتي في الزواج من ابنته .
كست الفرحه وجهها ، وكادت تهتف في سعادة ، لولا أن
غلبتها مشاعر الأنثى ، فداركت نفسها ، وغمغمت في دلال :
— حسناً .. امنحني فرصة للتفكير ، فقد لا أوافق .
ابتسم قائلاً :
— في هذه الحالة لن أجد بُدّاً من اللجوء إلى الوسيلة
الأخرى .

— أية وسيلة ؟
— سأختطفك وأجبرك على الزواج مني .
أطلقت ضحكة مرحة ، وهي تقول :
— حسناً أيها القرصان ، أتعلم ماذا سأقول لك عندئذ ؟
— ماذا ؟
— سأخبرك بأنك قرصان أحق ؛ لأنه من العبث أن
تخطفني ، وعيناي تحملان استسلاماً كاملاً لك ، ولحبك .
أطلق ضحكة قصيرة ، واستعدّ لإدارة محرك سيارته ، وهو
يتطلع إلى وجهها ، ثم لم يلبث وجهه أن اكسى بالجدية ، وهو
يقول :

٩ — لقاء متوثر ..

كان حفل الخطبة بـ (الإسماعيلية) عائليًا بسيطًا ، ولكنه كان كالجنة بالنسبة لـ (خالد) ، فيه أصبحت (ليلي) تنتمي إليه رسميًا أمام الجميع ، ولقد ظلت جذته تراقبه وخطيبته ، وابتسامة عريضة تملأ وجهها ، فقد تحققت أمنيتها ، واقرن (خالد) بـ (ليلي) ، وهي موقنة بأن كليهما قادر على إسعاد الآخر ..

وكانت (ليلي) تسأل (خالد) :

— قل لي : ألم تعرف أخريات قبلي ؟

ابتسم قائلاً :

— بالطبع .. كانت لي صديقات وزميلات أيام الدراسة .

هضت في دلال :

— لست أغنى هذا .

أجابها :

— أعرف ما تعنين ، ولن أدعى أنى مثالى ؛ كما تصرين

أنت ، ولكن الفرصة لم تصح لي أبدًا ؛ لأفكر في فتاة على هذا

***** ٨٠ *****

النحو ، فحبك يملأ قلبي منذ طفولتنا ، ويحول بينى وبين منح الحب لأية فتاة أخرى سواك .

تطلعت إليه قائلة :

— كلماتك هذه تُشعرنى بالذنب ، فلقد تركتك تتعذب

بحبى سنوات .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

— لم يعد هناك مجال لهذا الآن ، لقد انتهى العذاب ، وبدأت

السعادة .

قالت في دلال :

— هل ستحبني دوماً هكذا ؟

هتف من أعماق أعماق قلبه :

— إلى الأبد ..

التف الجميع حول (ليلي) يهنئونها بعيد ميلادها ، وهي

تتطلع من حين إلى آخر إلى باب القیلا ، في انتظار حضور

والدها ، ولم تكد تلمحه حتى هُرعت إليه ، هاتفة في عتاب :

— ألا تشارك ابنتك عيد ميلادها يا دكتور (فؤاد) ؟ ..

أتركها حتى في مثل هذا اليوم ؟

***** ٨١ *****

ابتسم في حنان ، وهو يقول :

— وماذا أفعل يا بنيتي ؟ .. إنها حالة عاجلة ، ولا يمكنني ألا

البي نداء الواجب .

قالت في دلال :

— أعلم ذلك ، وهذا ما يجعلني أصفح عنك .. المهم أنك

قد وصلت قبل أن نطفئ الشموع .

قال في حنان :

— كان من الممكن ألا أصل في الوقت المناسب ، لولا

خطيبك (خالد) ، فلقد تعطلت سيارتي في الطريق ، ولحق بي

هو ، وأنقذني من هذا الموقف الحرج .

هتفت :

— وأنا التي كنت أتساءل أين ذهب ؟ .. لقد تسلل من

الحفل إذن ؛ ليعمل على إحضارك إليه في الوقت المناسب .. أين

هو إذن ؟

— إنه قادم في أثري ، فهو يتفق مع صاحب سيارة

طوارئ ، لإحضار سيارتي المعطلة في الطريق .

— أرايت كم هو حنون يا أبي ؟ .. إنه لم يحتمل رؤية الضيق

في ملامحي ، لعدم وجودك في عيد ميلادي ، فانطلق خلفك ؛

* * * * * ٨٢ * * * * *

لتأتي معه قليل إطفاء الشموع ، وحتى لا يحرمني سعادتي
بقربك .

— إنه الزوج الذي تمنيت لك دوماً يا (ليلي) .

راعه ذلك الشحوب المفاجئ الذي اعتراها ، وأدهشة

تراجعها بهذه الحدة ، وهي تحدق في نقطة ما خلف ظهره ،

فالتفت إلى حيث تنظر ، ورأى آخر من يتوقع رؤيته .

(محسن) ..

وكان (محسن) يتقدم نحوهما ، ويمد يده إلى (ليلي) بلفافة

أنيقة ، قائلاً :

— كل عام وأنت بخير يا (ليلي) .

ازدردت لعابها ، وهي تتطلع إليه في جهود ، دون أن تمد

يدها لتناول اللقافة ، وبدا الموقف محرّجاً للغاية ، لولا أن سارع

الأب بمصافحته ، قائلاً .

— أهلاً يا (محسن) .. حمداً لله على سلامتك .. متى

غدت ؟

— أمس فقط ، ولما كنت أعلم أن اليوم هو عيد ميلاد

(ليلي) ، فلم يكن لي أن أتخلف عن حضوره .

غمغم الدكتور (فؤاد) :

— تفضل يا بني ، على الرّحب والسّعة .

* * * * * ٨٣ * * * * *

ولكن (ليلي) اعترضت قائلة :

— لست أظن حضوره مناسبًا .

قال (محسن) في برود :

— يمكنني أن أنصرف ، لو أن وجودي يضايقك .

ولكن الأب هتف :

— (ليلي) .. ليس من اللائق أن توجَّهي مثل هذه

الكلمات لضيوفك .

قالت في إباء :

— ولكنه ليس ضيفي .

نهرها قائلاً :

— لا تنسى أنه منزلي ، ولن يُصدَّعنه أحد .

وفجأة ، ارتفع صوت (خالد) من خلف (محسن) ،

يقول :

— ولا تنسى أيضًا أنه ابن عمي .

نقلت (ليلي) بصرها بين أبيها و (خالد) في توثر ، ثم لم

تلبث أن أولتهم ظهرها ، واتجهت إلى الداخل في غضب ، في

حين قال (خالد) :

— تفضل يا (محسن) .

وتناول الأب منه لفافته ، قائلاً :

— شكرًا لهديتك .

انتحي (خالد) بابن عمه جانبًا ، وهو يسأله في جدية :

— والآن ، هل تخبرني بالسبب الذي جعلك تأتي إلى هنا ؟

قال (محسن) ، وهو يتسم في برود :

— ما هذا يا (خالد) ؟ .. أمن المستغرب أن آتي في مناسبة

كهذه ؟ .. أنسيت أننا عشنا طفولتنا متتقلين بين هذه القيلًا ،

وقيلًا جدتنا ؟

أجابه (خالد) في حزم :

— حديثك معي في (ألمانيا) قال : إنك قد قطعت كل

الصلة بماضيك ، فلماذا هذا الحنين المفاجئ لطفولتنا ، وما سر

عودتك من (ألمانيا) مع كل ارتباطاتك هناك ؟

قال (محسن) معترضًا :

— وهل من المعقول أن ينفصل المرء عن ماضيه ؟ .. ليس

ذنبى أنك قد أخطأت فهم حديثي ، فلقد كنت أتحدث عن

تأمين مستقبل ، والاستفادة إلى أقصى حد من فرصة سانحة

هناك ، ولكنني لم أقل إنني قد تخلّيت عن ماضى وذكرياتى أبدًا ،

وخاصة تلك الذكريات السعيدة هنا .

قال عبارته الأخيرة ، وهو يرمق (ليلي) بنظرة ذات مغزى
من بعيد ، فاحد صوت (خالد) ، وهو يقول :
— أنسيت العبارة التي قلتها في مكيبك ؟ .. لقد قلت : إن
المنزل الرائع ، والسيارة الفاخرة ، والمنصب المرموق كلها تعدُّ
ثمنًا كافيًا لتبذل كل سنوات عمرك .

محسن :

— مجرد عبارة قلتها محاولاً إقناعك يا ابن عمي العزيز بأنه
ما من مبرر للتكبر لكل قيم الحياة المادية ، ولكنني أعترف بأنها
لم تكن عبارة صادقة تمامًا ، فهناك أشياء أخرى لها قيمتها ،
ولا يمكن إنكارها .

خالد :

— ولكنك لم تجب سؤالى عن سرّ عودتك المفاجئة .
أجابه (محسن) فى هدوء :

— جئت لمنع بعض توكيلات شركتى فى (مصر) ، ومن
حسن ظالى أن وصلت قبل يوم واحد من عيد ميلاد (ليلي) ،
فانتهزت الفرصة لأحضر إلى (الإسماعيلية) ، وأهنئها به .
أشار إليهما الدكتور (فؤاد) فى هذه اللحظة ، قائلاً :
— ألن تشاركا فى تقطيع كعكة عيد الميلاد ؟

***** ٨٦ *****

ابتسم (محسن) ، قائلاً :

— بالطبع يا عمّاه .. هيا يا (خالد) نشارك (ليلي)
العزيزة فرحتها .
وتحرك نحو مائدة الحفل ، ولكن (خالد) أمسك ساعده
يستوقفه ، قائلاً :

— مهلاً .. لعلك عرفت أن (ليلي) الآن خطيتى .

ابتسم (محسن) فى استخفاف ، وقال :

— آه !! معذرة .. نسيت أن أهنئكما .. مبارك .

تابع (خالد) وكأنه لم يسمعه :

— وهذا يعنى أن مسئوليتى نحوها قد تضاعفت ، فلقد

سمحت لك بالبقاء فى حفل عيد ميلادها ، لأنك ابن عمى ،

ورحب بك والدها الطيب مراعاة لأصول الضيافة ، على الرغم

من نذالتك السابقة مع ابنته ، ولكن لو أن حضورك اليوم يخفى

أية نوايا غير طيبة ، فثق أننى سأصدى لك بمنتهى الشدة ، دون

أى اعتبار لصداقة أو قرابة .

لم يتخل (محسن) عن هدوئه ، وهو يقول :

— لشدة ما يحزننى أن تسيء الظن بى على هذا النحو يا ابن

عمى .. ثق أننى أتمنى لكما كل السعادة من قلبى ، والآن هيا

***** ٨٧ *****

بنا ، فمن الضروري أن تكون إلى جوار خطيبتك الآن .
أطفئت الشموع ، وراحت (ليلي) تقطع كعكة الحفل ،
وتوزعها في أطباق صغيرة على ضيوفها وقال (خالد) وهو
يشاركها عملها :

— أنت غاضبة مني ؟

قالت دون أن تلتفت إليه :

— ما كان لك أن تدعوه لمشاركتنا حفل عيد ميلادي .

قال في هدوء :

— إنه ابن عمي ، وصديق طفولتنا ، ثم إنه لا يصح أن

تطردى شخصاً جاء لتهنئتك بعيد مولدك .

انفعلت قائلة :

— أما زلت تعتبره صديقاً ؟ .. أنسيت موقفه الحقير معي ،

ومقابلته الوقحة لك في (ألمانيا) ؟

قال في بساطة :

— وهل تريد أن نصبح مثله ؟ .. لقد انتهت مشاعرك

نحوه .. أليس كذلك ؟

هزت كتفها ، قائلة في عصبية :

— بالطبع .

***** ٨٨ *****

خالد :

— لم لا تعاملينه إذن كصديق تربطنا به ذكريات مشتركة ،

ما دام قد جاء إلينا بهذه الصفة ؟

ليلي :

— ولكنه

قاطعها :

— ولكن الواجب أن يلقي كل ترحيب كضيف .

ثم همس مستطرداً :

— حتى يدرك على الأقل أننا أفضل منه ، وأنا لا نحمل له

في قلوبنا ضغينة .. والآن قدّمي له قطعة من الكعكة .

تطلعت إليه برهة في اعتراض ، ثم لم تلبث أن أطاعته ،

وقطعت قطعة من الكعكة ، ووضعتها في طبق صغير ، ومدّت

يدها المرتجفة بها إلى (محسن) ، الذي تناول الطبق منها ، وهو

يتسم ابتسامة تكشف عن قسمات وجهه الوسيم ، قائلاً :

— شكراً يا (ليلي) ، تصوّرت أنك قد نسيتي .

لم تنبس ببنت شفة ، وإنما أدارت له ظهرها ، ولكنه

استوقفها بصوت هامس ، دفع فيه أكبر قدر من جاذبيته :

— (ليلي) ..

***** ٨٩ *****

التفت إليه ، وهي ترفع رأسها في كبرياء ، فقال ونظرة
حزن تطل من عينيه :

— نسيت أن أهتلك على خطبتك لـ (خالد) ، وأرجو أن
تكوني سعيدة معه .

قالت وصوتها يحمل ما يشف عن توثرها :
— أشكوك .. إننى كذلك بالفعل .

وأولتة ظهرها ، دون أن تتيح لفرصة المزيد من الحديث ،
ولكن خطواتها السريعة ، وهي تعود إلى المائدة ، أبرزت
ما حاولت أن تخفيه من اضطراب ..

ومن خيرة ..



١٠ — إحساس خفى ..

انتهت (ليلي) من عملها بالشركة ، ووقفت تودع صديقتها
عند المدخل الخارجى ، ثم اتجهت لتوقف واحدة من سيارات
الأجرة ، عندما وجدته يعترض طريقها بغتة ، قائلاً :

— مساء الخير يا (ليلي) .

سرت في جسدها رعدة خفيفة ، تشف عن اضطرابها
لظهوره المباغت ، وحاولت إخفاءها بقناع من الغضب ، وهي
تقول في انفعال :

— كيف تجرؤ على الحضور هنا ؟

ابتسم (محسن) ، قائلاً في هدوء :

— كان لابد أن أتحدث إليك ، مادمت رفضت منحى هذا

الشرف ، فى حفل عيد ميلادك .

قالت وقد تضاعف انفعالها :

— لم نعد بيننا حديث ، ومن فضلك لاتأت إلى هنا مرة

أخرى .

قال محافظاً على هدوئه :

— أعرف سرَّ غضبك مني ، وأرجوك أن تمنحني فرصة للشرح .

هتفت :

— ليس هناك ما يحتاج إلى الشرح ، فلم يعد شيء مما يخصك يهمني ، أما سبب غضبي فهو أنك قد سمحت لنفسك بالحضور إلى هنا ومقابلتي ، وأنا خطيبة ابن عمك .

محسن :

— ولكننا أصدقاء منذ الطفولة .. أليس كذلك ؟

ليلي :

— كنا أصدقاء .

محسن :

— بل كنا أكثر من ذلك ، فما الذي بذلك على هذا

النحو ؟

ارتفع حاجباها في دهشة واستكار ، وهي تقول :
— كيف أمكنك أن تُلقي هذا السؤال ، وأنت تعلم إجابته

جيدا ؟

محسن :

— لست أعرف سوى شيء واحد ، وهو أننا كنا متحابين ، وكان المفروض أن تكوني خطيبي أنا لا هو .

***** ٩٢ *****

ازداد ضيقها من حديثه ، وهي تقول :

— كيف تسمح لنفسك بقول هذا ؟ .. ماذا لو كنت على موعد مع (خالد) الآن ، وحضر ليراك تتحدث معي هكذا ؟
محسن :

— ولماذا سمح هو لنفسه بأخذك مني ؟

ابتسمت في سخرية ، مرددة :

— يأخذني منك ؟! .. لقد تخلّيت عني في لحظة غدر ،

وسافرت إلى الخارج سعيًا وراء أطماعك المادّية الرخيصة ،

دون حتى كلمة وداع واحدة ، ثم أرسلت خطابًا من عدة

أسطر ، تبلغنا فيه أنك ستزوّج من ألمانية ، وأن الزمن يتغيّر ،

ولا بدّ لك أن تتغيّر معه .. وسافر إليك (خالد) هذا ، الذي

تّهمه بأخذى منك ، وحاول إقناعك بالعودة إليّ ، على الرغم

من أنه يحمل لي في قلبه حبًا كبيرًا ، أخفاه لسنوات طوال ؛ لأنه

يرى مدى تعلّقي بك ، واعتقد أن سعادتي ستكون معك ..

سافر إليك ؛ لأنه لم يحتمل رؤيتي أتألم ، بعد موقفك الغادر

مني .. أسمعت أبدًا عن حبّ كهذا ؟ .. أرايت رجلًا له مثل

هذا القلب الكبير ؟ .. أتقول بعد هذا إنه أخذني منك ؟ .. إنني

نادمة على شيء واحد يا (محسن) ، وهو أنه لم يفعل ذلك منذ

زمن طويل ، فابن عمك رجل تتمناه أيّة فتاة .

***** ٩٣ *****

محسن :

— لست أجادل في أنه يحوز صفات عظيمة ، ولكنني واثق من أنك لا تحبين سوى .

احتقن وجهها غضباً ، وهي تهتف :

— كيف تجرؤ ؟

قاطعها في إصرار :

— هذه هي الحقيقة .. إنك تحبينني ولن تحبني غيري .. لقد رأيت ذلك في عينيك ، خلال حفل عيد ميلادك ، على الرغم من كل مظاهر الرفض والغضب والانفعال ، فمشاعرنا نحو الآخرين لا ترتبط بصفاتهم المثالية أو النيلية ، فقد تدفعنا هذه الصفات لاحترامهم ، لا لحبهم ، ومن الخطأ أن يتحول الحب إلى التزام ، بل الحب الحقيقي هو الذي يختار من نحب ، بكل عيوبهم ، وأن نغفر لهم الأخطاء والخطايا ، وألا نتخلّى عنهم أبداً .

ازداد غضبها ، وهي تقول :

— كُفّ عن هذا الحديث ، وإلا

قاطعها :

— لن أفعل ، فأنا أحبك وأنت تحبينني ، ولن يغيّر تقديرك

* * * * *

الكبير لـ (خالد) من هذه الحقيقة ، ومن الظلم أن توافقي على الارتباط به وأنت لا تحملين له الحب في قلبك .

اهتز جسدها من شدة الانفعال ، وهي تهتف :

— يالك من مغرور وقح !.. لقد صوّر لك غرورك أنه

لا يمكنني أن أحب سواك .. لتعلم إذن أنني أنا دفعت (خالد)

للاارتباط بي ، عندما زالت الغشاوة عن عيني ، وأني تمثّيت

أن أصبح زوجة له .

لم يأبه لقولها ، وإنما ثبت نظراته على وجهها ، وعلى عينيها ،

قائلاً :

— انظري إلى عيني ، فقد عهدت لك عاجزة عن الكذب ،

وأنت تنظرين إليهما ، وأخبريني هل تحبين (خالد) حقاً ؟

تطلّعت إليه قائلة :

— حسناً .. إنني .. إنني

أخرجها ارتباكها وتلعثمها ، فأشاحت بوجهها بعيداً ،

وهي تمهم بالانصراف ، قائلة :

— لست أدري ما الذي يدعوني إلى مجادلتك في أمر

كهذا ؟ .. كان من الخطأ أن أسمح لك بهذا الحديث منذ البداية .

قبض على ساعدها في شدّة ، وهو يقول :

* * * * *

— أرايت كيف عجزت عن قولها ؟ .. لم يمكنك الكذب ،
وأنت تنظرين إلى عيني ؛ لأنك تخييتنى أنا لاهو .
صاحت فى وجهه :

— اصمت .. لا يحق لك أن تقول هذا ، فأنا مخطوبة
لـ (خالد) ، وأحبه .. هل سمعت ؟ .. أحبه .. ابتعد عن
طريقي ، ولا تدعنى أراك .
لم يتخل عن ساعدها ، وهو يقول :

— لا تعاندى قلبك يا (ليلي) .. يجب أن تعرفى أن بعض
الأمر ، التى تبدو سيئة ظاهرياً ، لها من الدوافع ما يجعلها
كذلك ، أو ما يمنحها هذا المظهر ، دون أن تكون كذلك
بالفعل .. فربما أننى لست مثاليًا كـ (خالد) ، ولكنى لست
بهذا السوء الذى تتصورينه .

قالت فى مرارة :
— اترك ذراعى لو سمحت .

محسن :
— سأتركه يا (ليلي) ، ولكننا سنلتقى مرة أخرى ،
فهناك أمور عديدة ينبغى أن أشرحها لك ، حتى لا يكون
حكمك على ظالمًا .

***** ٩٦ *****

لم يكد يترك ساعدها ، حتى هرولت عبر الشارع ، محاولة
الابتعاد عنه بقدر الإمكان ، فقد شعرت بشيء خفى يمس
أوتار قلبها ..

شيء تمكنت ألا تشعر به أبدًا ، تجاه هذا الشخص ..
ولكن هذا الشيء كان أقوى منها ، ولقد جعلها تشعر
بالخوف ..
وبالذنب ..



***** ٩٧ *****

١١ - أميرة أحلامى ..

شعرت (ليلي) بخيرة شديدة ، وهي تجلس في مواجهة
(خالد) ..

هل تخبره بلقائها مع (محسن) أمس ؟ .. أم تخفى الأمر
عنه ؟ ..

شعرت أن إحساسها بالذنب لن يفارقها أبداً ، لو لم تخبره ،
ولكنها حاولت إقناع نفسها بأن عدم إخباره سيكون أفضل ،
لأن معرفته بكلمات (محسن) إليها قد تقوده إلى هواجس
شتى ، أو إلى صدام مع ابن عمه ، وهي لا تريد هذا أو ذاك ..
انتزعها صوت (خالد) من شرودها ، وهو يسألها
مبتسماً :

— لم لا تأكلين ؟

تناولت أدوات المائدة ، وراحت تعمل سكّينها في شريحة
اللحم الموضوعة أمامها ، دون رغبة حقيقية لتناول الطعام ،
فسألها :

— أهنأك ما يضايقك ؟

* * * * * ٩٨ * * * * *

أجابته ، وهي تهز رأسها :

— لا .

عاد يسألها :

— ألا يروق لك الطعام ؟ .. يمكننا أن نطلب وجبة أخرى ،
أو نذهب إلى مكان مختلف .

هزت رأسها مرة أخرى ، قائلة :

— لا .. ليس هناك ما يدعو إلى ذلك .

رفعت قطعة اللحم إلى فمها ، ثم لم تلبث أن أعادتها إلى
طبقها ، وهي تقول :

— (خالد) .. ألا يمكننا أن نعجل بالزواج ، قبل الموعد
الذي حدّدناه ؟

أسعدته رغبتها في سرعة الاقتران به ، وقال مبتسماً :

— لا بدّ من إعداد الترتيبات اللازمة .

ولكن نظرة القلق في عينيها جعلته يستطرد :

— على أية حال ، لن يستغرق هذا أكثر من ثلاثة شهور .

عادت تحرك شوكتها في الطبق في شرود ، وهي تتساءل :

— لماذا سألته التعجيل بالزواج ؟ ..

— أهي حقاً راغبة في هذا التعجيل ؟ ..

* * * * * ٩٩ * * * * *

من المؤكد أنها لم تكن تفكر في هذا ، قبل أن ترى (محسن)
أمس ، بل إنها حتى لم تهتم بمعرفة موعد الزواج ..
ما الذى طرأ عليها ، ودفعها إلى هذا الاقتراح إذن ؟ ..
إنها خشيتها من (محسن) حتمًا ..
بل خشيتها من ضعفها نحوه .. لقد شعرت بذلك منذ
أمس ..

ولكن ما الذى يَغيبه هذا ؟
أما زالت تحبه كما قال ؟ ..
لا .. لا يمكن أن يكون هذا صحيحًا ، وإلا فما معنى
شعورها نحوه (خالد) ؟ ..
أليس هو نفس الشاب ، الذى قالت أمس أن أية فتاة
تتمناه ؟
أليس هو الذى جدد ثقتها بنفسها يومًا ، وجعلها تؤمن بقيمة
الحب من جديد ؟ ..

ما الذى تخشاه إذن ؟ ..
ما الذى يثير القلق داخلها ؟ ..
أهو (محسن) وكلماته ؟ ..
كيف يمكن أن يفعل بها (محسن) هذا ، وقد ميزت
معدنه ، وبدا لها واضح الرداءة ، لا يساوى ذرة من معدن
(خالد) النفيس ؟ ..

* * * * *

وتأملت وجه (خالد) ، ولمنى تسأل نفسها :
— هل يمكن ألا يخضع الحب لقواعد العقل والمنطق ، كما
قال (محسن) أمس ؟ .. هل يمكن أن نحب شخصًا نبغض
صفاته ؟ .. أيمكن ارتباطى بـ (خالد) قائمًا على الالتزام
فقط ؟

هزّت رأسها فى قوة ، وكأنما تنفض عنها هذه الخواطر ،
ولاحظ (خالد) ذلك ، فترك طعامه وتناول يدها ، وهو يقول
فى قلق :

— إنك لا تبدين طبيعية على الإطلاق .. أخبرينى ماذا
بك ؟

— لاشيء .. يبدو أننى متعبة قليلًا .
أتريدين العودة إلى المنزل ؟
— نعم .. أظننى أحتاج إلى بعض الراحة .
— حسنًا .. هيا بنا .
— معذرة .. أفسدت عليك أمسيتك .
— المهم أن تكونى بخير .. ما رأيك لو مررنا بطبيب فى أثناء
ذهابنا إلى منزلك ؟

— لا .. الأمر لا يستحق ذلك .. سأحصل على بعض
الراحة فحسب ، فلقد بذلت جهدًا كبيرًا فى العمل اليوم .

* * * * *

عاد بها إلى منزلها ، وسألها وهو يُوقف سيارته إلى جواره :
— أيمكنني الاطمئنان عليك هاتفياً ؟

اغتصبت ابتسامة باهتة ، وهي تقول :

— سأتصل أنا بك ، واطمئن ، فالأمر لا يستحق كل هذا .
هَمَّت بمغادرة السيارة ، ثم توقفت قائلة :

— (خالد) .. حاول أن تمرّ علىّ في الشركة ، وتوصلني
إلى منزلي ، كلما سمحت ظروف عملك بذلك .
قال مبتسماً :

— سأبدأ ذلك اعتباراً من الغد ، ولكنني أقترح أن تحصل
على إجازة عدة أيام ، لاسترداد حيويّتك ونشاطك .
وعندما تركها وانصرف ، لم يكن قلبه يشعر بالراحة أبداً ..
* * *

كانت تراقب الشاطئ في ارتياح ، عندما سمعت صوتاً يأتي
من خلفها ، قائلاً :

— أحسنت بالجيء إلى هنا .. فلقد كان هذا هو مكاننا
المفضل دوماً .

التفت إلى صاحب الصوت في حِدة ، وهي تقول :
— هل بلغ بك الأمر أن تتسلّل خلفي هكذا ؟

* * * * * ١٠٢ * * * * *

أجابها (محسن) في هدوء :

— إنها مصادفة وليس أكثر .. لقد كنت في زيارة قصيرة
لجدّتي ، فعلمت منها أنك هنا في (الإسماعيلية) ، ولقد دفعني
الحنين إلى هذا المكان ، دون أن أعلم أنني سأراك هنا .
قالت في انفعال :

— أنت كاذب ، على أية حال ، كنت أهمّ بالانصراف .
هَمَّت بمغادرة المكان ، ولكنه اعترض طريقها قائلاً بنبرة
رجاء :

— (ليلي) .. كان من الضروري أن أراك على أي نحو
كان .. أريد منك أن تسمعيني .
ازداد انفعالها ، وهي تقول :

— ليس بيننا ما يقال ، وينبغي أن تقدّر أنني مخطوبة لآخر ،
وأن مطاردتك لي على هذا النحو غير جدّية بالاحترام .
هتف :

— اعذريني يا (ليلي) ، فمازلت أحبك ، ولست أقوى
على كتمان مشاعري نحوك .
صاحت في وجهه :

— لا تنطق هذه الكلمة أبداً .. لقد انتهى ما بيننا تماماً .

* * * * * ١٠٣ * * * * *

محسن :

— لا .. لم ينته .. مجيئك إلى هنا دليل على أنه لم ينته .

ليلي :

— ليست هناك أية دلالة لجيئي إلى هنا ، فهذا أحد أفضل الأماكن في (الإسماعيلية) ، وعموماً لن آتي إليه بعد اليوم ، ما دمت تفكر على هذا النحو .. والآن ابتعد عن طريقى وإلا أخبرت (خالد) بمطاردتك لى .

قال مهدئاً من ثورتها :

— حسناً .. لن أعترض طريقك بعد الآن .. فقط امنحني بعض الوقت لأشرح موقفى .. هذا كل ما أطلبه منك .
شعر باستسلامها ، فأضاف فى سرعة .

— لقد تطلعت إليك طيلة عمرى كأمية .. أتذكرين كيف كنت أردد ذلك على مسامعك دوماً ، وكنت تظنينه نوعاً من المزاح والدعابة ، ولكنى كنت أغنى ذلك تماماً ؛ ولهذا قررت ألا أتزوجك قبل أن أوفر لك حياة الأميرات التى تستحقينها ، ولكن هناك مسافة شاسعة بين الطموح والواقع .. ربما تقولين إن هذا تفكير خاطئ ، ولا مبرر له ، ولكن هكذا أفكر ، ولأننى كنت أحبك ، فقد حاولت أن أمنحك كل الرفاهية .. كنت أريد أن أبدو لك إنساناً متميزاً ، وليس (محسن) العابث

* * * * * ١٠٤ * * * * *

المشتهر الذى عرفته .. ووجدت فرصة تحقيق هذا فى سفرى إلى (ألمانيا) ، فذهبت محملاً بالطموح ، ولم أشأ أن أصارحك بالهدف الحقيقى لسفرى ؛ لعدة أسباب ، أولها : خوفى من أن تحاولى استخدام عواطفى لمنعى من السفر ، وثانيًا : خشية أن أفشل هناك ، وأعجز عن تحقيق وعدى لك .

عقبت فى سخرية :

— أكان من ضمن طموحاتك أن تتزوج ابنة مدير الشركة ؟
محسن :

— ليس الأمر كما تتصورينه يا (ليلي) .. لقد بدأت العمل فى تلك الشركة ككيميائى بسيط ، وتعرفت (أولجا) فى أثناء العمل ؛ إذ كانت تعمل كزملية لى ، وتحولت معرفتى بها إلى حب من طرف واحد .. من طرفها هى ، ولم أحاول تشجيعها أبداً ، وذات يوم أصابنى إغماء فى غرفة اختبارات الغازات الكيميائية ، وكدت ألقى حتفى فيها ، لولا (أولجا) ، فقد كانت تتابع مقياس ضغط الغاز على شاشة الكمبيوتر ، وعندما تزايد الضغط بشدة ، دون أن أغادر الحجرة ، أسرعت تستغيث بفريق الأمن ، ولكن رجاله خشوا اقتحام حجرة الغاز ، فخاطرت هى بنفسها ، واقتحمها لتقذنى ، وهكذا

* * * * * ١٠٥ * * * * *

وجدتني أخطبها ، في موجة عرفان بالجميل ، ولكنني لم أستطع
الاستمرار في هذا إلى النهاية ، فكما أخبرتك من قبل ، قد يدفعنا
الامتنان إلى الارتباط بشخص ما ، ولكنه لا يدفعنا لحبه أبداً ،
وأنا أحبيتك ، ولم أحب سواك ، ولهذا غادرت (ألمانيا) ،
وتحمّلت المخاطر من أجلك ؛ لأنني عجزت عن الابتعاد عنك ..
وعندما وصلت ، وجدت لك للأسف مرتبطة بشخص آخر ..
ومن هذا الشخص ؟ .. (خالد) .. ابن عمي وصديق
طفولتنا .. لقد تظاهرت أمامك بالصلابة والجلد ، ولكنك
لا تتصورين مدى صدمتي .

بدا التأثير على وجهها ، وهي تقول :

— أنا الأخرى صدمني أن أعلم أنك قد تخلّيت عني ، وكان
(خالد) هو الشخص الوحيد الذي وقف إلى جوارى ، وشملني
بحبه وحنانه ، بعد أن جعلني سفرك المفاجئ إلى (ألمانيا) أشعر
أنني مرفوضة منك تماماً .

محسن :

— لقد ظللت واقعاً تحت تأثير التزامي تجاه (أولجا)
طويلاً ، ولم أرغب في أن أقيدك إلى ، ولذلك حاولت دفعك
إلى كراهيتي ، وحاولت أن أثبت تلك الصورة القبيحة عني ،
عبر (خالد) إليك .. ولكنني عجزت عن تمثيل ذلك الدور

* * * * * ١٠٦ * * * * *

طويلاً ، فأنا أحبك ، وأنت تحبيني ، ومن الخطأ أن نحرم قلوبنا
كل هذا الحب .

وأشاح بوجهه ، مستطرذاً في مرارة :

— ولكن ما الفائدة ؟ لقد وقع ما وقع ، ولم يعد يهم من
تسبب في وقوعه .

وعاد يتطّلع إلى عينيها ، متابعاً :

— هذا كل ما أردت قوله يا (ليلي) .. أردت منك أن
تعلمني أنني لم أخدعك ، وأنني ما زلت أحبك ، وفي النهاية أتمنى
لك كل السعادة مع (خالد) ، فقد يكون حظك معه أفضل
من حظي معك ، أما أنا فساوأجه مصيري ، وسأحمل حرماناً
منك ، ودخولاً إلى السجن .

ارتسم الفزع على وجهها ، وهي تهتف :

— السجن ؟ !

لم يحاول تفسير الأمر لها ، وهو يتركها قائلاً :

— وداعاً يا (ليلي) .. وداعاً .

ولكنها لم تحتمل ابتعاده ..

وهتفت تناديه بكل اللهفة واللوعة ..

لقد عادت ..

عادت إليه ..

* * *

* * * * * ١٠٧ * * * * *

١٢ — الحب والمخاطرة ..

لحقت به (ليلي) ، وأمسكت ساعده هاتفة :

— ماذا تعنى بذكر السجن ؟

صمت قليلاً ، ثم أجاب في مرارة ، دون أن يلتفت إليها :
— عندما طلبت الزواج من (أولجا) ، رفض أبوها تماماً ؛
لأنه لا يثق في الأجانب ، ويرى أننى أسعى فقط خلف ثروتها
ونفوذه ، ولكنها أصرّت على الارتباط بى ؛ لأنها تحببى في شدة
كما أخبرت ، مما اضطر والدها للموافقة ، شريطة أن أوقع له
إيصلاً بمبلغ ثلاثين ألفاً من الماركات الألمانية ، احتفظ به ؛
لاستخدامه ضدى ، إذا ما حاولت التخلّى عن ابنته يوماً ، أو
أسأت إلى مشاعرها ، ولقد وافقت على هذا آنذاك ، تحت تأثير
الامتنان والعرفان بالجميل ، على أمل أن أنجح يوماً فى نسيان
حبّى لك ، وأن أحبّها ، ولكننى عجزت .. لم أستطع نسيانك ،
ولم أستطع أن أحبّها ، وطلبت منها الانفصال ، فثارت وهددتنى
بالإيصال ، وبأنها ستعمل مع أبيها على سجنى ، وعلى الرغم
من ذلك فقد تركتها ، وأتيت مضحياً بكل شيء ..

* * * * * ١٠٨ * * * * *

غمغمت (ليلي) فى إشفاق :

— وماذا ستفعل الآن ؟

محسن :

— لا شيء .. لقد منحتى مهلة أسبوعين للتفكير ، وبعدها
ستبلغ الشرطة ، وستسلمنى السلطات هنا إلى السلطات
الألمانية لحاكمتى ، طبقاً لاتفاقية تسليم المجرمين ، الموقعة من
الدولتين .

قالت فى أسى :

— ألهذا قلت إنك جئت مخاطراً بالكثير ؟

قال فى مرارة :

— نعم .. جئت لأجذك مخطوبة لغيرى .

هتفت :

— (محسن) ، لا بدّ أن نستسلم لمصيرنا ، غدّ إلى فتاتك

قبل انقضاء المهلة ، وسأعود أنا إلى (خالد) .

ولكنه أجابها فى إصرار :

— لا .. يمكنك أن تستمرى فى ارتباطك بـ (خالد) ، أما

أنا فلن أخدع قلبى مرة أخرى ، وأبنى حياقى على مشاعر زائفة ،

أو عرفان بالجميل .. السجن يبدو لى أفضل من هذا ..

لا تقلقى بشأنى ، وانعمى بسعادتك .

* * * * * ١٠٩ * * * * *

ليلي :

— أية سعادة تلك ، وأنا أعلم ما سيضرك بسببها ؟

نظر إليها بعينين حزيتين ، وقال :

— ليس هذا ما كنت أرجوه .. لقد تمنيت أن أسمع منك

كلمة حب لا شفقة .

غمغمت مترددة :

— (محسن) .. إنني .. إنني

أمسك مرفقيها هاتفا في لهفة :

— إنك تحييني .. قولها يا (ليلي) .. سأجد فيها التعويض

الكافي .. قولها .

تطلعت إليه قائلة في استسلام :

— نعم .. لا يمكنني أن أخدع نفسي إلى الأبد .. فأنا

أحبك ، وأشعر بالذنب لهذا .

اغتبطت عيناه ، وهو يقول :

— إنها كلمة تستحق أن يضحى المرء من أجلها .

هزّت رأسها في رفض ، قائلة :

— لا يا (محسن) .. لن تكون هناك تضحيات ، يجب أن

تسدّد المبلغ للرجل ، وتسترد ذلك الإيصال منه .

* * * * * ١١٠ * * * * *

— ومن أين آتى بمبلغ كهذا ؟

— ألا يمكنك تدبيره مع والدك ؟

— والدي مدين لأحد أقاربنا بخمسة آلاف جنيه ، عجز

عن سدادها حتى الآن .

ثم تطلّع إليها في هيام ، مضيفا :

— لا أريد أن ألقى في السجن يا (ليلي) .. الآن فقط أشعر

بقسوته ، ليس بسبب السجن نفسه ، ولكن لأنه سيجرمني

منك ، بعد أن تأكدت من حبك لي .. أريد أن أبدأ من جديد ،

وأن أصحح أخطاء الماضي .. يجب أن نتزوج يا (ليلي) .

هتفت في دهشة :

— نتزوج ؟

— نعم .. إننا يجب بعضنا بعضا ، ومن حقنا أن نتزوج .

— و (خالد) ؟ !

— إنه ليس الرجل المناسب لك .. إنه مجرد صديق ، عرفته

في طفولتك ، وله مكانة وتقدير في نفسك ، ولكنه ليس حبيبا

أو زوجا .. هذا يضعه في تصنيف خاطئ في حياتك .

— ولكن هذا سيؤلمه كثيرا .

— وإنه أقل إيلا ما من أن تتزوجيه ، وأنت تحبين غيره ..

* * * * * ١١١ * * * * *

لا بد أن تحاولي إقناعه بذلك ، وهذا أفضل لكليكما .

— ولكن أبى لن يوافق على زواجنا .

— أبوك رجل طيب .

— يبدو أنك لا تعرفه جيدًا .. إنه يبدو طيبًا متساهلاً ،

ولكنك ستجده عنيذا صلبًا ، عندما تجربه بأنك تنوى الارتباط

بى مرة أخرى .. قد يدعوك إلى منزله ، نزولاً على واجب

الضيافة ، فهذا أحد مبادئه ، ولكنه لن يتردد في إلقاءك

خارجة ، لو ضاق بأسلوبك ، ومهما حاولت أن تبرر له

موقفك ، فستجد أمامك كتلة من الصلابة والعناد .

— فلنضعه أمام الأمر الواقع إذن .

— هل تريدن أن أتزوج دون موافقته ؟ مستحيل !

— لماذا يا (ليلي) ؟ .. إننا لا نرتكب أى خطأ ، كفى ما

أضعناه من حبنا .. إننا سنصحح خطأ ارتكبناه قديمًا ، فما

سيرفضونه اليوم سيقبلونه غداً ؛ لأنه سيصبح أمراً واقعاً ، أما

لو استسلمنا لرفضهم اليوم ، فسنندم على ذلك طيلة عمرنا .

— ولكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك ؟

— سأخبرك أنا .. المشكلة الوحيدة تكمن في تدبير مبلغ

الثلاثين ألف مارك .. أنا يمكننى تدبير المبلغ ، ولكن ليس قبل

* * * * * ١١٢ * * * * *

ثلاثة أشهر ، فلدى قطعة أرض ورثتها عن أمى ، سيستغرق بيعها هذه الفترة تقريبًا .

— رائع .. أنت قلت إن والد (أولجا) ثرى .. وسيمكنه

الانتظار .

— لن يفعل ؛ لأنه لا يحتاج للمبلغ مادياً ، وإنما يتخذه

وسيلة للانتقام منى .

بدا وكأنه يفكر في عمق ، قبل أن يلتفت إلى (ليلي) ،

ويهتف كمن وجد مخرجًا .

— (ليلي) .. أنت تملكين الحل .

هتفت في دهشة :

— أنا ؟ .. كيف ؟ !

أجابها في لهفة :

— لقد أخبرتنى أنك تحفظين بمجوهرات أمك الراحلة في

صوانك الخاص ، وأخبرتني أنها تساوى خمسة وعشرين ألفاً ،

وأظنها تساوى مبلغ الثلاثين ألف مارك الآن ، وأنها ستحل

المشكلة .

تراجعت في دُعر ، هاتفة :

— أتريد منى أن أسرق مجوهرات أمى ؟

* * * * * ١١٣ * * * * *

قال فى انفعال :

— إنها ليست سرقة .. سنستعيرها فحسب ، سنرهنها
لأسدّ المبلغ ، ثم أعيدها عندما أبيع قطعة الأرض .
وعندما رأى الخوف والشك فى عينيها ، تراجع قائلاً :
— لا .. لن يمكنك فعل ذلك .. إننى أعلم .
ورفع يديه إلى مستوى كتفيه ، مستطرّداً فى يأس :
— ولكنه كان الحل الوحيد .. ومن المؤلم أننى سأفقدك
عندما استعدت حبك .

تردّدت لحظات ، وغمغمت :

— ولكن كيف يمكننى أن آخذ مجوهرات أمى ؟
أجابها فى سرعة :

— إنك تحتفظين بها فى صوانك ، ولن يشعر أى مخلوق
بغيابها ، حتى أبيع قطعة الأرض ، وأعيدها إليك .
غمغمت فى ألم :

— لن يمكننى فعل ذلك أبداً .

أمسك كتفها ؛ قائلاً فى همس مؤثر :

— ولكنك ستفعلينه من أجلى .. من أجل حبنا .
بدا استسلامها واضحاً ، فتابع فى ثقة :

* * * * * ١١٤ * * * * *

— اسمعنى جيداً .. إننى أستعد للسفر بعد غد ، قبل انتهاء
المهلة التى حدّدتها لى (أولجا) ، وسأنتظر غداً فى فندق
(سونستا) ، فى الحجرة رقم خمسة عشر ، أحضرى لى
المجوهرات هناك ، لو أردت مساعدتى ، وسأغيب ساعتين ،
أذهب خلاهما لرهن المجوهرات ، والحصول على المبلغ ، ثم
أعود لأصحبك إلى أقرب مأذون ؛ لنعقد قراننا قبل سفرى .
غمغمت فى توثر :

— ألا يوجد حل آخر ؟

أجابها فى حزم :

— لا .. هذا هو الحل الوحيد ، وهو يحتاج إلى بعض
الشجاعة والمخاطرة .. ألا يستحق حبنا وزواجنا ذلك ؟
أومأت برأسها مؤيدة ، وقلبها يرتجف ..
يرتجف فى قوّة ..

* * *

* * * * * ١١٥ * * * * *

شعر (خالد) بالدهشة ، عندما رآها تدخل إلى حجرته
في الشركة ، ونهض يستقبلها في حرارة ، قائلاً :
— مرحباً يا (ليلي) ، لابد أنه أمر جلل ، ذلك الذي دفعك
لزيارتى في الشركة لأول مرة .. ماذا تشربين ؟
غمغمت في حرج :

— لقد أتيت لأقول لك .. لأقول
ابتسم قائلاً :

— هل تقصدين لقاءك بـ (محسن) ؟
هتفت في دهشة وجزع :
— هل عرفت ؟

أجابها في هدوء :

— (الإسماعيلية) مدينة صغيرة ، والأخبار تتناقل فيها في
سرعة ، ولكن هذا الأمر لا يستحق اضطرابك هذا ،
فـ (محسن) ابن عمى ، وهو لك الآن بمثابة أخ ، ولكن أين
خاتم الخطبة ؟

لم تحاول إجابته ، بل مدت له يدها بخطاب مغلق ، وهى
تقول :

— (خالد) .. هذا الخطاب سيشرح لك كل شيء ،
وسيتخبرك بما أعجز أنا عن قوله لك ، ولكن لا تفضّه قبل
رحيلى ، ولا تظلمنى فى حكمك على .
تطلع إليها فى قلق بالغ ، وتناول منها الخطاب فى آية ، وقبل
أن ينبس ببنت شفة ، كانت تهرع مغادرة الحجرة ، غير مستجيبة
لنداءاته ، فأسرع يفضّ الخطاب ليجد أمامه مفاجأة ..
خاتم الخطبة ..

خفق قلبه فى توثر وقلق ، وأسرع يقرأ الخطاب ، الذى
شرحت له فيه (ليلي) كل شيء ، فيما عدا استيلاءها على
مجوهرات أمها لصالح (محسن) ..
وارتجفت أصابعه ..
وسقط الخطاب بين قدميه ..
وسقط معه قلبه ..

* * *

استقبلها (محسن) فى حرارة ، وعيناه تلتهمان اللقافة التى
تحمّلها ، فقدّمها إليه قائلة :

— هاهى ذى المجوهرات ، لن يمكنك أن تتصور كيف كان
من الشاق أن أفعل ذلك ، فلم أفكر أنا أو أبى يوماً فى التفريط
فى فص واحد منها ، فهى الذكرى المتبقية من أمى (رحمها الله) .
أجابها فى لهفة :

— لا تحزنى .. ستستعيدنها بالكامل ، وقبل أن يشعر
والدك ، أعدك بذلك ، والآن سأذهب لإتمام ما اتفقنا عليه ،
انتظرينى ، ولن أتغيب طويلاً .
قالت فى مرارة :

— لست أدرى إلى أى طريق تقودنى يا (محسن) ، ولكننى
أشعر بأن كل هذا خطأ ، ولا أملك القدرة على التراجع ، فأنا
أحبك حقاً ، ويؤلمنى أن يدفعنى هذا الحب إلى كل ذلك التهور .
رَبَّتْ على وجنتها مطمئناً ، وهو يقول :

— سترين أن مخاوفك ليست فى محلها ، وأن ما تطلقين عليه
اسم التهور ، هو أعقل ما فعلناه فى حياتنا .. والآن انتظرينى
فى (كافيتيريا) الفندق ، وسأعود لأصطحبك إلى المأذون ..
قالها وانصرف ..

مرّت الساعات طويلة ، ثقيلة ، مملّة ، وبدأت (ليلي)
تشعر بالقلق ، بعد خمس ساعات كاملة من غياب (محسن) ،
واستفحل داخلها شعورها بجسامة الخطأ ، وراح بصرها يدور
فى المكان فى توثر ، حتى سمعت من خلفها صوتاً مميّزاً يقول :
— جلوسك هنا مضيعة للوقت ، فهو لن يعود .
هَبَّت واقفة ، والتفتت إلى مصدر الصوت ، هاتفة فى
شحوب :

— (خالد) ؟ !

سألها فى مرارة :

— لماذا يا (ليلي) ؟ .. لماذا فعلت هذا ؟

غمغمت متلعثمة :

— لست أملك تفسيراً ، ولا يمكننى أن أشرح لك ..
قاطعها :

— لست أحتاج إلى شرح أو تفسير ، فلقد قرأتها فى
رسالتك ، ولكن ما يدهشنى حقاً هو تصديقك لـ (محسن) ،
واستسلامك لخداعه مرة أخرى .
تطلّعت إليه فى خوف ، قائلة :

— خداعه ؟ ! لا يا (خالد) .. (محسن) يحبّنى حقاً ..
إنه سيأتى بعد قليل ، ليصطحبنى إلى المأذون .

* * * * * ١١٩ * * * * *

* * * * * ١١٨ * * * * *

قال في مرارة :

— لن يأتي يا (ليلي) .. لقد سافر منذ ساعتين إلى
(النمسا) .

هفت في فرع وذُهل :

— سافر !؟

أجابها في ألم :

— ليتك انتظرت حتى أنتهى من قراءة خطابك ، وليتى
أعرف طريقك منذ البداية ، فلقد بذلت جهدًا كبيرًا حتى
اهتديت إليك في الفندق .

وزفر في قوة ، مستطرذا :

— لقد التقيت أمس فقط بصديق لـ (محسن) ، تعرّفه في
(ألمانيا) ، وجاء خصيصًا لمقابلته ، ولقد شرح لي هذا الصديق
الكثير من الأشياء عن (محسن) ، فقصته التي رواها لك عن
الفتاة الألمانية حقيقية ، ولكنه هو الذى نصب شباكه حولها
بوصولته ، ليستغل ثراءها ونفوذ والدها ، وعندما انكشف
أمره طرده والدها من الشركة ، وانتهت علاقته بـ (أولجا) ،
وذاق (محسن) مرارة الفقر هناك ، بعد أن نفدت نقوده ،
وعجز عن الالتحاق بعمل آخر ، حتى التقى بأحد المصريين

* * * * * ١٢٠ * * * * *

المقيمين في (النمسا) ، والذى كان في زيارة قصيرة إلى
(ألمانيا) ، وكان يستعد لإنشاء شركة للتجهيزان الطيبة في
(النمسا) ، فأقنعه (محسن) بأنه يستطيع مشاركته فيها ،
وطلب منه الرجل خمسين ألف جنيه ، ونجح (محسن) في
الحصول على عشرة آلاف جنيه من بعض المصريين في
(ألمانيا) ، بأسلوب ملتو ، حيث أقنعههم بأنه سيجعل منهم
شركاء في شركته ، ومن بينهم ذلك الذى روى لي كل هذا ،
وعندما أدرك (محسن) أن المبلغ ضخم للغاية ، طلب من
شريكه ، مهلة أسبوعين ، حتى يستكمل المبلغ المطلوب ،
ويلحق به في (النمسا) .

وزفر مرة أخرى في مرارة ، قبل أن يضيف :

— وعندئذ فكر في الاستيلاء على مجوهرات أمك .

هفت في هلع :

— هل علمت بأمرها ؟

أوما برأسه إيجابًا ، وهو يقول في ألم :

— لقد كشف والدك الأمر منذ ساعات ، ولقد صدمه هذا

كثيرًا ؛ لأنه لم يصدّق أن تفعل ذلك ، وسقط مريضًا في منزله .

بكت وانتحبت قائلة :

* * * * * ١٢١ * * * * *

— أيقنى هذا أنها خدعة منذ البداية ، وأن حبه مجرد غش
وتدليس .

قال فى حدة :

— بالطبع .. لقد تزوج (محسن) من شقيقة شريكه فى
النمسا .

شهقت فى رغب :

— تزوج ؟ هل تزوج قبل حضوره إلى (الإسماعيلية) ؟
أجابها فى صوت يحمل نبرة قاسية :

— نعم .. كان يخدعك طيلة الوقت .

انهارت قائلة :

— كيف سمح له ضميره بأن يفعل بى هذا ؟ .. كيف ؟ ..
أجابها (خالد) فى قسوة :

— تمامًا كما سمح لك ضميرك بخيانة حبيبى الكبير لك .

تعالى نحيبها ، وجذب إليها انظار رواد (الكافيتيريا) ، فى
حين استطرد (خالد) :

— ابكى يا (ليلى) ، فقد يطهرك بكاؤك من ذنوبك ، أما
أنا فلن يمكننى أن أغفر ، أو حتى أشعر بالشفقة نحوك هذه

المرّة .. قلبى الجريح سيعجز عن ذلك .

* * * * * ١٢٢ * * * * *

تفجرت الدموع كالفيضان ، وأسرعت تعدو إلى الخارج ،
فارتجف قلبه من أجلها مرّة أخرى ، وأسرع خلفها ..
ورآها تعدو عبر الطريق ، فهتف بها :

— (ليلى) .. انتظرى يا (ليلى) ..

ورأى سيارة تندفع نحوها ، وتحاول تفاديها عبثًا ، فصرخ :

— (ليلى) .

ثم حدث الاصطدام ..

* * *

لم يكد الطبيب يغادر حجرة العمليات ، حتى اندفع نحوه
(خالد) والدكتور (فؤاد) ، وهتف به الأخير فى لوعة :

— هل نجحت ؟

أجابه الطبيب :

— إصابته ليست بالخطيرة ، ولكنها تحتاج إلى عملية نقل

دم سريعة ، ونحن نبحث لها عن كمية من فصيلة دمها .

هتف (خالد) :

— إن فصيلة دمي تماثل فصيلة دمها .. سأمنحها

ما تريده ..

أجابه الطبيب :

— رائع .. هيّا نُجز لك بعض الفحوصات أولاً ..

* * * * * ١٢٣ * * * * *

استغرق الأمر بعض الوقت ، حتى قال لهما الطبيب :
— حمدا لله .. لقد تم إنقاذها .. يمكنكما أن ترياهما الآن ،
ولكن لمدة ربع ساعة فقط ، ولا ترهقها بمحديث طويل ، فما
زالت تحت العلاج .

تنهّد الدكتور (فؤاد) في ارتياح ، وقال :
— أشكرك يا دكتور .. أشكرك على كل ما بذلته من جهد .
تطلع الطبيب إلى (خالد) ، قائلاً :
هذا الشاب يستحق الشكر أيضاً ، قدمه هو الذى أنقذ
ابنتك .

رمق (فؤاد) (خالد) بنظرة امتنان ، وقال :
— هيا يا ولدى .. هيا نرها .
تردّد (خالد) لحظة ، ثم قال :
— اذهب أنت يا عمى ، وسألحق بك بعد قليل .
دلف الأب إلى حجرة ابنته ، وهمس في حنان :
— ابنتى العزيزة !.. حمدا لله على سلامتكم .
فتحت (ليلي) عينيها ، وغمغمت في خفوت :
— سامحنى يا أبى .

رفع كفّها إلى شفّته ، ولكمها في حنان ، وهو يقول :
— لقد سامحتك يا بنبّتى ، انسى كل شيء الآن ، المهم أن
تعودى إلى منزلك بخير وسلامة .

* * * * * ١٢٤ * * * * *

قالت في خفوت :

— وأين (خالد) ؟
— سيحضر بعد قليل .. لا يمكنك تصوّر مدى سعادته ،
عندما علم بنجاح العملية .

— لقد أخبرونى أنه قد تبرّع لى ببعض دمه .
— نعم .. إنه لم يتردّد فى منحك إيّاه .
بدا الندم فى عينيها ، وهى تقول :
— هكذا هو دوماً .. لا يتردّد فى مساعدتى ، مهما
ارتكبت من أخطاء فى حقّه .

واستطردت فى انكسار :
— اطلب منه أن يسامحنى يا أبى .. اطلب منه أن يغفر لى
ما فعلته به .

ومن خلف ستار الحجرة ، وقف (خالد) يتطلع إليها ،
دون أن تشعر هى ووالدها بوجوده ، والدموع تنحدر من عينيها
فى صمت ، وقلبه يقول :

— سامحنى أنت يا (ليلي) ، فقد كنت قاساً عليك ، ولم أرحم
آلامك .. سامحنى ؛ لأننى أعجز عن البقاء إلى جوارك بعد
الآن ؛ لأن الشرخ بيننا قد اتسع ، بعد استسلامك لعواطف
(محسن) وخداعه ، وأصبح يحول دون التقائنا من جديد ..

* * * * * ١٢٥ * * * * *

سامحيني لأن آلام وجراح قلبي أصبحت أقوى من مشاعر الحب
التي تربطني بك .. سامحيني ؛ لأنني سأخرج من حياتك هذه
المرّة .. ولن أعود .

وغادر الحجرة في هدوء ، دون أن يلمحاه .. وعندما
حلّقت الطائرة بعيدا ، كان يتمنى أن تبعد معه عن كل ما يتمنى
نسيانه ، وعن حبه وآلامه وذكرياته ..
ولكن هيهات أن ينسى ..

ها هو ذا الفجر يقترب ، وعقله لا يزال يسترجع ذكرياته
القديمة مع (ليلي) ، في حجراته الباردة في الصحراء ..
وهناك ، في حجرتها ، ظلت (ليلي) تستعيد صورته
كفارس نبيل في أحلامها كل ليلة ، وفي عقلها يتردد سؤال واحد
ورجاء واحد ..
هل يعود ؟!
هل يعود يوما ؟.

[تمت بحمد الله]

المؤلف



أ. شريف شوقي

السلسلة الوحيدة التي لا يجد الأب أو الأم حرجاً من وجودها بالمنزل

لن أتزوج

أحبها حباً جارفاً كبيراً،
وظلّ مخلصاً لها دون أن ينتظر
مقابلاً لحبه.. وعندما بادلتها
مشاعره أخيراً، طلب منها أن تعاهده
على الإخلاص لهذا الحب الكبير..
ولكنها لم تحفظ عهدها..
واتخذ قراره بالخروج من
حياتها بلا عودة

٦٧

التمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم